اتخذتك بطلي

م. طارق الموصللي

اتخذتك بطلًا
(رواية من أدب الناشئين)

إهداء

إلى والدي وبطلي الحقيقي.. رضوان سامي الموصللي، حفظك الله يا أبيّ من كل مكروه.

الجمعة - ٣ عصرًا

كان طارق قد ملّ من كثرة توجيهات والده الذي جعل شغله الشاغل -منذ بدأ الحظر- ملاحقة زلّات ابنه، لذا كانت سعادة طارق غامرة حين تلقى اتصالًا من باسم يخبره عمّا بدا له مغامرة جديدة.
وكعادته، بدأ باسم المحادثة دون إلقاء التحية: هل تذكر صديقنا عبدالرحمن؟
وكعادة طارق أيضًا، أجابه دون أن يهتم بالشكليّات: هل تقصد عبدالرحمن اسماعيل، ابن مدير قسم الأرشيف في وزارة الصحة؟
كانت صدمة باسم كبيرة، عبّر عنها بقوله: نعم، هو بذاته!
امتعض طارق لسببٍ يجهله، فقال مستغربًا: ولماذا تفترض أنني من فتية الكهف؟ وتُراك توقعت أن أسألك: "كم لبثنا؟"، فضحك باسم بشدة: لم أقصد ذلك يا طارق، لكنني شككت أن تتذكر أحدًا من زملائنا، بما أنك شخص انطوائي.

أُضطر طارق ليُعيد شرح طبيعة شخصيته (للمرة الألف): لست انطوائيًا، إنما لا أحب الاختلاط بالآخرين، وخاصةً طلاب مدرستنا. يا رجل! أقصى طموحات أحدهم هو أن يُقابل كريستيانو رونالدو أو ميسي. والمصيبة أن أحدهم لا يعرف كيف يتلقى الكرة من زميله أثناء درس الرياضة.

وهنا، ارتسمت نظرة شكّ على وجه باسم وسأل نفسه: "إن لم يكن ذلك انطواءًا، فما هو بحقّ الله؟" في حين تابع طارق حديثه: دعك منيّ الآن، ما به عبدالرحمن؟
لم يستطع باسم أن يُخفي حماسه، وظهر ذلك واضحًا في صوته: آه صحيح، تحدثت معه على الهاتف منذ ساعة، وسألته عن آخر أخباره، فحدثني عن لعبة "City Alone" التي صدرت حديثًا، ثم أخبرني عن مكالمة دارت بين والده وأحد زملائه في العمل عن دواء جديد يُفترض أن يُساهم في القضاء على كورونا.

لم يشعر طارق بسعادة كالتي يشعر بها الآن منذ حصل على الأعمال الكاملة للعرّاب (أحمد خالد توفيق)، فبدأ يقفز في أرجاء الغرفة كقطٍ وجد كرة صوف، ثم تذكر أن باسم لا زال على الطرف الآخر: رائع، إذًا وأخيرًا سننتهي من فترة الحجر الصحي المملة هذه، أريد أن نعود إلى المدرسة وإلى لقاءاتنا بعدها ويعود والدي إلى عمله، هل سألته عن التفاصيل؟
أجاب باسم: بالطبع، فأنا متحمسٌ مثلك، لكنه أخبرني أنه كان يختلس السمع، لذا لم يتمكن من الاستماع إلى كامل الحديث.

تصاعد غضب طارق بعد أن المغامرة الجديدة قد تفلت من بين يديه: يا إلهي! لماذا جميع أصدقائك جُبناء هكذا؟ ماذا كان سيخسر لو أنه دخل على والده أثناء إجراءه المكالمة تحت أي ذريعة؟ على كل حال.. لماذا لم نسمع عن شيء كهذا في وسائل الإعلام؟
حاول باسم تدارك الموقف، فأجاب سريعًا: ألم ترى المنشور المتعلق بالأمر على الصفحة الرسمية لوزارة الصحة؟
كان طارق قد شاهده بالفعل، وأراد مشاركته على صفحته في الفيس بوك، لكن ما إن ضغط زرّ المشاركة، حتى ظهرت أمامه رسالة خطأ: "عذرًا، هذا المحتوى غير متوافر الآن."، لذا سأل باسم عن السبب.
فأجابه باسم: لا أعلم، يبدو أن للدواء آثار جانبية أو شيء من هذا القبيل، فقد أخبرني عبد الرحمن أيضًا أن والده طلب من زميله أن يتكتم على الحديث.

تحفزّت (شخصية المغامر) داخل طارق بعد سماعه جملة باسم الأخيرة، فقال: وربما لا يكون الأمر كذلك، ربما أراد والد عبدالرحمن أن يستأثر بالدواء لنفسه. ويجب أن نسبقه إليه، سنتسلل إلى مبنى وزارة الصحة، ونبحث عن العقار حتى نجده، وبعدها نذهب به إلى صيدلي ونبيعه لقاء مبلغ ضخم من المال. فما رأيك؟

كانت هذه أكثر أفكار طارق جنونًا، فصرخ باسم في الهاتف قائلًا: هل جُننت؟ تريد منّا أن نقتحم مبنى الوزارة ونسرق؟ هل تعلم ماذا سيحدث إن ألقوا القبض علينا؟ في أحسن الأحوال، سنقضي بقية أعمارنا داخل سجن ضيّق، وأنت تعلم كم أخاف الأماكن الضيقة!

لم تكن هذه أول مرة يقف باسم عائقًا في طريق مغامرة مثيرة. فقبل عامين، أطلقت الحكومة مبادرة لتعليم الشباب البرمجة، وكان طارق متأكدًا أن باسم هو أول من سيتحمس للانضمام إليها، لكن حماسته اختفت حين علم بشرط المبادرة المتعلقة بالسنّ (ألّا يقل سنّ المتقدم عن ١٥ عامًا).
حاول طارق إقناع صديقه أن لا شيء سيخسرانه في حال تقدما للمبادرة ولم يُقبلا فيها، لكن باسم رفض المحاولة خوفًا من غضب والديه. لهذا، وجد طارق نفسه ينفجر غضبًا في وجه صاحبه: جبان! أنت شخص جبان ولا تصلح لتكون صديقي. على العموم، سأتواصل مع عبدالرحمن واسأله عمّا يعرفه، وسأقوم بهذه المغامرة وحدي.
ارتعد باسم خوفًا من إفشاء طارق للسرّ: لا.. أرجوك، يُفترض بحديثي معه أن يكون سريًّا.
كان طارق يعلم أن تهديده ذو فائدة، ومع ذلك أدعى عدم الاهتمام: لا تقلق، لن يعلم بأنك من أخبرني. والآن، اذهب.. فلديّ الكثير من العمل وأنت تُعطلني.

ردّ باسم بخفوت: حسنًا، كما تشاء.

أنهى طارق المكالمة، ونهض ليُغلق باب غرفته، يحتاج لأن يركز وصوت مذيع نشرة الأخبار في التلفاز يكاد يُفقده عقله! عاد إلى مكتبه وشغّل حاسوبه، لكنه سرعان ما أغلقه "ماذا لو اخترق أحدهم جهازي، وسرق منيّ الخطة؟ الأفضل أن أرسمها على الورق"

بدء طارق وضع خطته وهو يكررها أمام نفسه كما لو كانت درسًا في الجغرافيا "أولًا، عليّ معرفة القسم الذي يُخفون فيه الدواء (وهذه سهلة، سأتصل بعبد الرحمن واستدرجه ليُخبرني بكل ما يعرفه). وبعدها لا بدّ من إيجاد طريقة للدخول إلى المبنى ولا بدّ أن يكون ذلك ليلًا (ملاحظة هامة: إيجاد طريقة للذهاب إلى هناك ضمن فترة حظر التجوال)، بالطبع سأحتاج إلى المال لرشوة الحرّاس. ممم.. لا، الرشوة حرام! إذًا، ليس أمامي سوى إيجاد طريقة للدخول دون أن يروني. سأدخل وأُحضر الدواء وبعدها أخرج على الفور. يا لها من خطة سهلة وبسيطة!"

خرج طارق من غرفته نحو المطبخ ليشارك أسرته وجبة الغداء، حيث جلس بجوار والده الذي سأله عن دروسه، وما إن كان يحتاج لبعض الدروس الخصوصية.
فأجاب طارق: لا تقلق يا والدي، كل شيء على ما يُرام.
هزّ والده رأسه وعيناه معلقّة بشاشة التلفاز أمامه، إنه موعد برنامجه الإخباري المفضّل (صوت الحق والحقيقة) وهو يستمتع كل يوم بمشاهدته أثناء تناول الغداء، ولا يسمح لأي شيء بمقاطعة متعته تلك.

على مائدة الطعام، جلس طارق ساهيًا، كان يحلم بالشهرة والمال، والأهم من ذلك.. نظرة هدى نحوه والتي ستتغير بالتأكيد بعد أن يُصبح غنيًا.
هدى هي زميلته في المدرسة، قمحية اللون.. ذات شعر كستنائي وعينين بلون السماء. ولحسن حظه، كانت هدى تسكن في البناء المقابل لمنزلهم، الأمر الذي مكنّه من رؤيتها كلما أرسلته والدته لاستعارة أو استعادة شيء ما من منزل جيرانهم. كانت هي من تفتح له الباب دائمًا، وكل مرة كان يتلعثم أمامها دافعًا إياها لمحاولة اكتشاف ما جاء لأخذه "ماما تقول.. هل يمكننا استعارة.. وسنعيده إليكم غدًا" .. "ما هو؟" .. "الغسالة.. أأ أقصد مسحوق الغسيل" .. ودائمًا ما كانت إجابة هدى ذاتها: "لحظة من فضلك" وبعدها تدخل وتغلق الباب خلفها، ليبدأ هو في لوم نفسه وضرب جبينه بيده "ما بك يا طارق؟ لماذا ترتبك كلما رأيتها؟ لا شكّ أنها تأخرت بسبب محاولاتها كتمان ضحكات سخريتها منك!"

وفجأة، تخرج هدى وهي تحمل علبة مسحوق الغسيل: تقول ماما أن هذا كل ما تبقى لديها، وهي تنتظر عودة والدي ليجلب معه العلبة الجديدة، وتقول اسأل والدتك ما إن كانت هذه الكمية تكفيها أم تفضّل الانتظار حتى المساء؟
وبدلًا من شكرها، يحمل طارق العلبة ويمضي كالبرق. وفجأة يُدرك خطأه وإنما بعد فوات الأوان.

أفاق طارق من شروده على لمسة من والدته "لماذا لا تأكل يا بني؟"
"لا بدّ أنه تناول الكثيرمن الشوكولاته كعادته" قالها والده دون أن يُبعد عينيه عن شاشة التلفاز.
ابتلع طارق الغصّة التي تسبب بها تعليق والده، وعاود تناول غداءه بفتور.
كثيرًا ما شعر طارق أن والده يكرهه، بل وكثيرًا ما شكّ بكونه (مُتبنى) لولا حنان والدته الذي لا تبديه سوى أمٌ حقيقية. على عكس والده الذي كان -ولسببٍ مجهول- يُفسد أكثر اللحظات دفئًا مع ابنه بملاحظاتٍ وانتقاداتٍ لا تنتهي، فكثيرًا ما حاول طارق التقرّب من والده، فتارةً يطلب منه مشاركته اللعب بجهاز الألعاب (البلايستيشن)، وتارةً كان هو من يُشارك والده اهتمامه بالسياسة، وفي كلتا الحالتين كان والده يأمره أن يهتم بدراسته عوضًا عن هذه التفاهات.
وحتى حين أقدم على مهمة انتحارية، وهي طلب نصيحته في خلافٍ مع باسم، أمطره بوابلٍ من عبارات التقريع متهمًا إياه بقلة الخبرة في الحياة بسبب انطوائيته، حتى تمنى طارق لو أن الأرض انشقت وابتلعته إلى الأبد.

السبت - ٧:١٠ صباحًا

استيقظ طارق على صوت رسالة واردة، تلقف هاتفه ونظر إلى شاشته بعينٍ نصف مغمضة. "اتصل بيّ فور استيقاظك، الأمر عاجل" كانت الرسالة من باسم.
اعتدل في جلسته ثم اتصل، ما إن فتح باسم الخط حتى بادره: صباح الخير.
فرك طارق عينيه وهو يسمع صوت صديقه الذي بدا أنه لم ينم حتى الآن: صباح الرسائل المزعجة، هل تعرف كم الساعة الآن؟ إنها السابعة.. ما هو الأمر العاجل الذي أيقظتني لأجله؟
أراد باسم أن يُعيد اعتباره أمام طارق ويذكره أنهم أصدقاء: قبل أن أتحدث، لتعلم أنني لم أكن لأُشارك معك هذه المعلومات الخطيرة لولا أنك صديقي.

شعر طارق أنه أخطئ في حق باسم البارحة، لكنه عوضًا عن الاعتذار، قال بسخريته المعتادة: غمرتني بلطفك، لن أنسى لك صنيعك ما حييت، هل تريد منيّ تقبيل يدك أيضًا؟! والآن، ما هي هذه المعلومات الخطيرة؟
تجاوز باسم سخرية طارق وقال: أخبرني عبدالرحمن أن وزارة الصحة قررت نقل العقار الجديد إلى أحد مصانع الأدوية.
لم يجدها طارق معلومة غريبة، فقال: ما الغريب في الأمر؟ من البديهي أن تعمل الدولة على إنتاج الدواء فور إثبات فعاليته، بل وبالسرعة القصوى أيضًا!
أجابه باسم: وهنا تكمن الكارثة، لأن إثبات الفعالية الذي تتحدث عنه يحتاج إلى أجهزة تحليل متطورة، ومصنع الدواء الذي يضمّ تلك الأجهزة -والتالي سيُنقل الدواء إليه- مملوك لجابر أبو سيف.
صُعق طارق حين سمع الاسم، فنهض من فراشه بقفزة واحدة وهو يسأل صديقه: تقصد رجل الأعمال الفاسد الذي سُجن منذ سنة؟
أكّد باسم مخاوف صديقه: صحيح، وقد خرج من السجن قبل شهرين طبعًا بعد أن دفع غرامة ضخمة.
اضطربت دقات قلب طارق من الخوف: يا للمصيبة! لن يتورع هذا الرجل عن فعل أي شيء ليضرّ البلد، ولكن أخبرني: كيف ستتعاون الدولة معه بعد كل ما فعله؟
بدا الخوف واضحًا في صوت باسم وهو يجيب صديقه: لا أعلم، لكنني متأكد أنه خدع وزير الصحة بواحدة من ألاعيبه القذرة. فقد أقسم على الانتقام.

أحكم طارق قبضته على سماعة الهاتف وهو يقول: أو ربما كان الوزير بحدّ ذاته متورطًا! لقد سمعت والدي يتحدث عن العديد من تصرفات الوزير المثيرة للشكّ في الآونة الأخيرة، مثل تحويل معظم ثروته إلى حساباته البنكية في سويسرا ونقله أفراد أسرته -في طائرة خاصة- خارج البلاد. على العموم، لا يمكننا الوقوف مكتوفيّ الأيدي هكذا، لا بدّ أن نصل إلى الدواء قبل جابر أبو سيف، لكن كيف؟
ورغم أن خطة طارق بدت معقولة أمس، لكن بدت -في تلك اللحظة- أسوء خطة في العالم! لذا كان ينتظر إجابة صديقه، والذي لم يكن يمتلك واحدة للأسف: لست أدري، ولكن يجب أن نفعلها قبل يوم الثلاثاء.. وتحديدًا قبل السادسة صباحًا. أعلم أنك تكره الاستيقاظ باكرًا، لكنه موعد التسليم. إن فاتنا، فعلى الدنيا السلام.
ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه طارق وقال: ماذا؟ هل قلت "نفعلها"؟ هل تقصد أنك ستتخلى عن جبنك وترافقني في هذه المغامرة؟
ركل باسم كرة صغيرة بجانب قدمه غضبًا وهو يجيب: لست جبانًا يا طارق، وما رفضي لمشاركتك أول مرة إلا لأن هدفك كان شريرًا، أما هذه المرة، فهدفنا نبيل.
أراد طارق استغلال مهارته اللغوية فقال: من نبيل؟
ما يميّز باسم هو تسامحه العجيب، خاصةً حيال صديقه، لذا فقد نسي إتهام طارق له بالجُبن وتفاعل مع دعابته: يا له من مزاحٍ ثقيل.. واو، جاءت على القافية! حسنًا، لا شكّ أن لديك خطة، أرجو أن تكون جيدة.
التقط طارق أوراقه من المكتب بجانبه، ونظر إليها وهو يُجيب باسم: ليست خطة بالمعنى الحقيقي، لكن إليك ما فكرت به: كنت أفكر في التسلل إلى وزارة الصحة ليلًا وأخذ الدواء. لكن المشكلة أننا غير متأكدين من وجوده هناك. يُقال أن هذا النوع من الأدوية يوضع في مخازن خاصة ومحصّنة خوفًا من وقوعه في الأيدي الخطأ.
بدت خطة طارق معقولة بالنسبة لباسم، فردّ عليه قائلًا: بالنسبة لما إن كان موجودًا في الوزارة، فهو بالتأكيد هناك، لأن مجرد خروجه من المبنى يعني احتمالية وقوعه في الأيدي الخطأ.. لكن السؤال: في أي مستودع؟ لا شكّ أنهم يعلقون لافتة بعباراتٍ متخصصة قد لا نفهمها، لكن لحظة! ألا يعمل أحد جيرانكم كصيدلي؟
احمرّت وجنتا طارق بمجرد تذكر الشخص المقصود ألا وهو (والد هدى)، لحُسن الحظ أن باسم لا يراه الآن، وإلا لما نجا من تعليقاته الاستفزازية حين يرى الخجل مرتسمًا على وجهه. وبعد أن تمالك نفسه، أجاب: بلى، يُدير جارنا الذي يسكن العمارة المقابلة صيدلية في الشارع المجاور.

شعر باسم أنهما يسيران على الطريق الصحيح، فعبّر عن فرحته بالقول: ممتاز، إذًا يمكننا أن نسأله عن مكان تجميع الأدوية المفترض إتلافها.
لم يستطع طارق إخفاء دهشته: هل قلت.. "إتلافها"؟! ألسنا نبحث عن عينة اختبار؟

استلقى باسم على سريره وقد وجد في سؤال طارق فرصته للتحذلق عليه: كنت أظنك أذكى من ذلك يا طارق! ألا تعلم أن الحكومة تُعلن عن شيء وتنفذ شيئًا آخر في مثل هذه الحالة؟ تخيّل لو سمع الناس عن الدواء الجديد، سيحتشد مئات الآلاف مطالبين باعتبارهم (فئران تجارب). سيغدو الوضع جنونيًا خلال ساعات، خاصةً مع وجود الشرطة الآلية.
أما إن تسرّب خبر اعتزام الحكومة إتلاف الدواء لا اختباره، فسيعلم الجميع أنه سامّ أو ضار فيغضوّن الطرف عنه، وبذا تفعل الحكومة ما بدا لها بهدوء.
أُعجب طارق بذكاء صديقه، فصفّق جذلًا: مذهل، يبدو أن مشاهدة الأفلام الأجنبية عادت عليك بفائدة ما.
"ربما!" قالها باسم وقد تلونت وجنتاه بحُمرة الخجل.

السبت ـ ١ ظهرًا

بعد إصراره الغريب، وافق والد طارق على طلب ابنه: هذه أول مرة تطلب منّا دعوتهم، بل إنك تكره أن ندعو أي ضيوف، أشعر أن في الأمر سرًا.
كاد تلعثم طارق يكشفه، لكنه تمالك نفسه وردّ قائلًا: أبدًا يا والدي العزيز، كل ما في الأمر أنني أحتاج من (العم صلاح) أن يشرح ليّ بعض التفاعلات الكيميائية، فأردت أن أستغل دعوة اليوم لهذا الغرض، فهو -كما تعلم- يرفض إعطاء الدروس الخصوصية.
علم والد طارق أن ولده يُخفي شيئًا، لكنه لم يُرد إحراجه، فأدعى تصديقه: حسنًا، إن كان الأمر كذلك، فلا بأس. لكن انتبه، هؤلاء جيراننا، وبالتالي لا أريد أي تصرفات صبيانية، والأهم من ذلك، إياك أن تطرح اسئلة ساذجة تبيّن عدم اهتمامك بدروسك.
وبالطبع، هزّ طارق رأسه موافقًا.

ما إن غادر طارق غرفة والديه، حتى التفتت أم طارق إلى زوجها معاتبةً: أنت تقسو عليه كثيرًا يا حاج، الولد يهتم بدراسته وأنت تطالبه بعدم طرح اسئلة ساذجة! ولدنا في مرحلة المراهقة يا عزيزي. وأنت تعلم كم هي مرحلة خطرة، ألم تكن مراهقًا ذات يوم؟
إلتفت أبو طارق نحو زوجته قائلًا: بلى، لكن رحم الله والدي، فلولا قسوته عليّ حين كنت في مثل سنّ طارق، لما أصبحت محاميًا يُشار له بالبنان. كان -غفر الله له- ينكزني بالعصا لاستيقظ أيام المدرسة، ويوقظني بنضح الماء على وجهي في الإجازة كي أرافقه إلى دكانه. فعن أي قسوة تتحدثين؟ ولدك يا بهيجة طفل مدلل، ألا ترين كيف يقضي وقته هذه الأيام؟ ينام بعد منتصف الليل، ويستيقظ بعد أذان الظهر، وكلما دخلت غرفته شاهدته يلهو بهاتفه الذكي (وهو -ورب الكعبة- غبي يدفع ابننا ليكون أكثر بلادة)، حسبي الله على الغرب واختراعاته التي دمّرت عقول الشباب!
طبطبت والدة طارق (بهيجة) على كتف زوجها قائلًا: والدك يا عزيزي كان ينتمي لجيلٍ مختلف، ولا يجوز أن نعامل ابننا كما عاملنا أبنائنا، ألم تسمع قول الفيلسوف سقراط: "لا تكرهوا أولادكم على آثاركم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"؟ ثم من قال بأن ابنك يلهو؟ هل تعلم أنه أتقن اللغة الاسبانية بفضل هاتفه الذي دعوته غبيًا لتوّك؟
اعتدل زوجها في جلسته قائلًا: حقًا؟
تملّكت مشاعر الفخر (بهيجة) وهي تردّ على زوجها: نعم، صدقني حين أقول أننا أحسنّا تربيته، وكل ما يحتاجه منّا الآن بعض التوجيه. عِدني ألّا تقسو عليه ثانيةً.
استلقى أبو طارق على جنبه وقد قرر إنهاء الحوار قائلًا: سأحاول.

السبت ـ ٩ مساءً

ما إن دُق جرس الباب، حتى شعر طارق بتسارع دقّات قلبه، ففكرة أنه سيجلس مع محبوبته ضمن مجلس واحد تُثير ارتباكه جدًا. فكّر -أكثر من مرة- أن يجلس في غرفته حتى يناديه والده، لكنه أراد رؤيتها.. نعم! كانت رؤية هدى بالنسبة له مصدر سعادة، حتى لو لم يتحدثا. وهكذا، استجمع قوته ووقف بجوار والده الذي فتح الباب.
دقّ أبو طارق على صدره بيمينه مرحبًا بضيوفه: أهلًا وسهلًا بأبي هادي وعائلته الكريمة، تفضلوا أرجوكم.
ردّ أبو هادي التحية بذات الطريقة: (زادك الله تفضيلًا على خلقه). ثم دخل.
بعد أن استقر الكل في مجلسه، بدأ الضيف الحديث: سبحان الله، من كان يتخيّل أن بمقدور فيروس صغير زلزلة العالم بهذا الشكل؟
أيّد أبو طارق كلام جاره: معك حق يا أبا هادي، ولكن ما يُحيرني.. كيف تعجز دولة -مثل الولايات المتحدة الأمريكية- عن إيجاد ترياق لهذا الدواء؟ أليست تدعيّ أنها مُنقذة العالم؟

أراد طارق أن يُشارك الكبار حديثهم، فاستجمع قوته وقال: ينطبق عليهم المثل القائل (أسمع جعجعةً ولا أرى طحنًا)، أراد -بعد أن يلفت الانتباه- أن يتحدث عن أفلام هوليوود حول نهاية العالم وكيف يكون البطل فيها أمريكًا دائمًا، لولا أن أحدًا لم يُعقّب فآثر الصمت بدوره، بل ودفعه الحرج لمغادرة الغرفة والجلوس في الشرفة بعيدًا عن الأعين. لذا فهو لم يرى عينا هدى تتابعه ولا ابتسامتها الخفيفة لاستخدامه المثل الشهير الذي يُطلق على الشخص كثير الأقوال قليل الأفعال. ومع خروج طارق من الغرفة، استأذنت لتخرج هي أيضًا بحجة رؤية أزهار الشرفة.

هناك وقفت تتأمل الأزهار إلى أن وقف طارق على مقربةً منها ساهمًا "كيف يبدأ أحدهم حديثًا مع شخصٍ يُحبه دون أن يشعر بالخجل؟" لكنه لم يصل إلى إجابة، فوجد أن أفضل طريقة لبدء الحديث هي بسؤالها عن مدى معرفتها بموضوع الدواء، وهكذا تنحنح قليلًا قبل أن يقول: ما رأيك بما يحدث في العالم اليوم؟
تركت هدى بتلة الزهرة التي كانت تستنشق شذاها لتُجيب طارق: هل تقصد موضوع كورونا؟ في الحقيقة، أنا لا أمتلك الكثير من المعلومات الطبية (رغم أن والدي يعمل صيدليًا)، كل ما أعرفه أنهم لن يجدوا دواءً له في القريب العاجل.
كانت مفاجأة طارق كبيرة: وما الذي يجعلك متأكدة إلى هذا الحدّ؟
استندت هدى بظهرها إلى سور الشرفة وهي تشرح وجهة نظرها: العالم قائم على المصالح الشخصية، وحكومات الدول الكبرى لن تجازف بثرواتها في سبيل إنقاذ

شعوبها. فكّر في الأمر: لو وضعت تلك الحكومات أموال تجار الأزمات في كفة ووضعت صحة شعوبها في الكفة المقابلة، أيّ الكفتين مجدية اقتصاديًا أكثر؟
أجاب طارق بثقة: الأولى طبعًا، ألم تسمعي أغنية Go Money Make the World Round؟
هزّت هدى رأسها: بالطبع سمعتها، Fantan Mojah هو المفضلّ لديّ. أرأيت؟ الحكومات تسعى خلف من يدفع أكثر.
شعر طارق أن الوقت بات مناسبًا ليخبرها بهدف الحديث: أحترم وجهة نظرك طبعًا، لكن ماذا لو أخبرتك أن حكومتنا توصلت إلى الدواء بالفعل لكنها قررت إتلافه؟!
عقدت الدهشة لسان هدى لدقيقة كاملة ثم قالت: ولماذا تفعل أمرًا كهذا؟
أجاب طارق: لا أعلم، لكنني عازم على اكتشاف الأمر. (ثم طفق يحدّثها عمّا توصل إليه هو وباسم حتى الآن).
بعد سماعها استنتاجات زميليها، شعرت هدى أن ما يقوله أغرب من الخيال، فقالت: هل أنت متأكد أنك لم تشاهده في فيلمٍ ما؟
توقع طارق ردّة فعلٍ كهذه، فأجابها مُدعيًا الحزن: سامحك الله، ما أخبرتك به يحدث على أرض الواقع، يمكنك سؤال باسم إن أردتِ. سيأتي غدًا وبصحبته تفاصيل الخطة التي اتفقنا عليها.
سألته: متى؟
كان سؤالها عن موعد اللقاء يدّل على اهتمامها -ولو مبدئيًا- بالفكرة، فأجابها: ستُقام غدًا مباراة بين "ريال مدريد" و "برشلونة" وسمعت والدي يقول أنه اشتاق لجلسات المقهى ويريد تعويض نفسه عن جزء بسيط منها، لذا سيدعو والدك ليشاهدا المباراة معًا، هنا في منزلنا، ربما تُقنعين والدتكِ بالمجيء تحت ذريعة أن من حقكما الخروج من المنزل أيضًا، ما رأيك؟
هزّت هدى رأسها موافقة: تبدو فكرة معقولة، متى ستبدأ المباراة؟
أجاب طارق: الثالثة عصرًا.
رفعت هدى إبهامها دلالة الاتفاق وهمّت بالرحيل، فأستوقفها طارق قائلًا: طلب أخير، هلّا سألتِ والدكِ أين يضعون الأدوية المُعدّة للإتلاف؟
أجابته هدى: (لا حاجة لسؤاله، يضعونها في مستودعات الوزارة ضمن غرفة خاصة، إلى اللقاء). بعدها أكملت طريقها نحو الداخل، في حين وقف طارق يتأمل زهور الحديقة وهو يسأل نفسه "هل ازدادت الزهور جمالًا فجأة؟"

الأحد - ٢:٥٤ عصرًا

وصلت عائلة أبو هادي قبل الموعد المحدد ببضعة دقائق، كانت سعادة طارق برؤية هدى أضعاف سعادة والده بعودة (الأيام الخوالي).
وفي حين ذهب والدها مع والده لمشاهدة المباراة، ودخلت زوجتا الرجلين إلى غرفة الضيوف لتتناقشا حول حلقة مسلسل (خفقة قلب ميّت) الأخيرة، وقف كلٌ من طارق وهدى حائرين أمام الباب، إلى أن جاءت نور -أخت طارق الصغرى- فأنقذت الموقف بأن طلبت من هدى تصفيف شعرها، وهكذا صعد الثلاثة إلى غرفة طارق ونور. هناك، وجدوا باسم يُخرج جهازه اللوحي وبعض الأوراق والأقلام.
انهمكت هدى في تصفيف شعر نور، في حين وقف الشابان يعبثان بالشاشة الذكية المعلّقة على الجدار.
كانت نظرات باسم تدّل على عدم الرضا، فسأل صديقه: ألا زلت تستخدم هذه الخردة؟ لماذا لم تطلب من والدك شراء شاشة من طراز VO٢٠٠٠؟
كان طارق يعلم هوس صديقه بالتكنولوجيا، لذا قرر أن يُرضي غروره وسأله: وما الفرق بينها وبين هذه "الخردة"؟
حدج باسم صديقه بنظرة غريبة قائلًا: هل تُمازحني؟! من لا يملك VO٢٠٠٠ فهو لا يعرف ماذا تعني الشاشات الذكية أصلًا! هل تضمّ شاشتك مستشعرًا للمزاج بحيث تنتقي البرامج التلفزيونية بما يتناسب مع مزاجك؟
وحين هزّ طارق رأسه (أنّ لا)، أكمل باسم استعراض ميزات الشاشة: أرأيت؟ VO٢٠٠٠ تقدّم أكثر من هذا، ما رأيك لو أخبرتك أنها تساعدني في الدراسة؟! فيكفي أن أفتح صفحة الدرس الذي استعصى عليّ فهمه أمام كاميرتها، حتى يبدأ ذكائها الصنعي في عرض توليفة من الفيديوهات التعليمية. ليس هذا فحسب، بل وهي تستخدم عارضًا للمجسمات ثلاثية الأبعاد في عرض المعارك في دروس التاريخ، وتضاريس الأرض في دروس الجغرافيا، وأخيرًا وليس آخرًا، الأكواد البرمجية وتطبيقاتها في دروس البرمجة. على العموم، يومًا ما سأدعوك إلى منزلي لترى بنفسك، فنحن نملك ٣ منها.
لم يكن هناك ما يُزعج طارق -في علاقته مع باسم- أكثر من محاولاته المستمرة في التبجح على أصدقائه، لذا لم يشعر بنفسه إلا وهو ينهر صديقه قائلًا: حسنًا، الآن دعنا من استعراض ثروة والدك والمقتنيات في منزلكم الفخم، ولنبدأ بوضع الخطة الجديدة.
شعر باسم بالإحراج، خاصةً بعد أن أطلقت هدى ضحكة قصيرة، وكاد يتشاجر مع طارق لكنه قرر أن يؤجل ذلك لوقتٍ لاحق.

التفت باسم نحو الشاشة، وضغط زرّ التشغيل، فظهرت أمامهم خريطة دقيقة للمدينة، مع الكثير من النقاط الحمراء عليها.

سأل باسم: هل شاشتكم معطلة؟
في حين استغرب طارق سؤاله قائلًا: لا، لماذا تسأل؟
أشار باسم إلى الشاشة بقلق: إذًا، ما هذه النقاط الحمراء؟
هنا، أقترب طارق من الشاشة أكثر وهو يشرح لباسم ما ظنّه الأخير عطلًا: هذا تحديث جديد للشاشة يُظهر أماكن تجمّع الشرطة الآلية وأعدادهم. هنا مثلًا .. (نقر على إحدى تلك النقط، فظهر أعلاها رقم ٧) يوجد سبعة رجال آليين. وأظن أن في هذه المنطقة.. (نقر على نقطة أشدّ احمرارًا فظهر رقم ٥٦) يوجد مركز أبحاث أو ما شابه.
سأل باسم متحمسًا: هل هذا التحديث قانوني؟، لكن طارق اكتفى بابتسامة ذات مغزى دون أن يُجيب، ثم أخرج ورقة من جيبه وفردها على الطاولة أمام باسم: بعد أن حكيت لهدى ما توصلنا إليه، قررت أن تنضم إلى فريقنا.
انتفض باسم واقفًا: لكنها فتاة يا طارق!
هنا توقفت هدى عن تصفيف شعر نور، ونهضت متجهة نحو الطاولة، نظرت في عينيّ باسم بغضب دون أن تنطق بكلمة.
شعر طارق أن حربًا كلامية على وشك الاندلاع، فقرر التدخل: لا أفهم مكمن احتجاجك على كونها فتاة، فنحن لسنا ذاهبين لحضور مباراة مصارعة حرّة! عدا ذلك، وجودها ضروري للغاية، فهي الوحيدة التي يمكنها التعرّف على شكل الدواء فور رؤيته.

لم يُعقّب باسم وإن بدا على وجهه عدم الاقتناع.

عاد طارق إلى الورقة أمامه ليُعيد شرح الخطة التي وضعها مع باسم لهدى، ثم ختم بقوله: كما تعلمان، لا يمكننا أن ننطلق إلا ليلًا بعد أن ينام الجميع، بمعنى أدقّ بعد أن يبدأ حظر التجوال وستساعدنا هذه الشاشة على وضع مسار آمن بعيدًا عن أعين الشرطة الآلية.
وبذا يتبقى علينا تحديد وسيلة النقل -حيث لا توجد سيارات أجرة تنقلنا إلى هناك- وطريقة الدخول بالطبع.

- بالنسبة لوسيلة النقل، فلديّ واحدة وهي مضمونة، سأخبركم عنها عندما تدقّ ساعة الصفر.

كاد الفضول يقتله لمعرفة ما تحدث عنه باسم، لكن كبريائه منعه من السؤال. لذا اكتفى طارق بالقول: ممتاز، ماذا عن طريقة الدخول؟
كان سؤالًا محرجًا، فلم يجد باسم جوابًا أفضل من قوله: سنتدبر أمرها حين نصل.
شعر طارق أنها فرصته الذهبية لتحطيم غرور باسم، فتصنّع الغضب قائلًا: لا، لا يمكننا ترك ثغرات في الخطة، وإلا فما الفائدة منها؟

وكالعادة، استغلّ باسم غضب طارق ضدّه فقال: (إذًا، اتحفتنا بما لديك). وهكذا ساد صمت طويل قطعته هدى بقولها: هل تُظهر شاشتك تجمعات الشرطة الآلية في الوقت الحقيقي؟
هزّ طارق رأسه قائلًا: نعم.
لم تعقّب هدى، بل اكتفت بأن سحبت كرسيًا وجلست تتأمل خريطة المبنى والنقاط الحمراء لأكثر من نصف ساعة، في حين جلس الشابان يلعبان على هاتفيهما.

"انظرا" نظر باسم وطارق نحو الشاشة، فاستطردت: يتبع الآليون حول مبنى وزارة الصحة نمطًا معينًا في الحركة، بحيث لا يسمحون بوجود أي ثغرة للتسلل بينهم، ولكن.. "وضعت هدى أصبعيها عند منطقة خضراء ثم باعدتهما لتكبر الصورة أكثر" من الواضح أنهم نسوا دورة المياه المهجورة هذه.
كانت هدى تُشير إلى دورة مياه بعيدة، لدرجة أن لا أحد يستخدمها، لذا لم يجد طارق بدًا من تنبيهها إلى ذلك: وبماذا ستفيدنا دورة المياه هذه؟ فهي بعيدة عن المبنى ولا أحد يستخدمها!
ارتسم شبح ابتسامة على وجه هدى وهي تقول: صحيح، لكن ربما سيفيدنا وجود العديد من الجرذان حولها.
كان باسم حينها يتأمل الشاشة، ويحاول البحث عن طريقة سهلة لدخول المبنى، لكن جملة هدى الأخيرة كانت كفيلة بجعله يقفز من مكانه نحو زاوية الغرفة وهو يصرخ: جرذان؟! أرجوكم أنا أخاف.. أقصد اشمئز من الجرذان.
ضحك طارق وهدى من تعابير وجه باسم الذي جلس في زاوية الغرفة كما لو أن جرذًا يُحاصره بالفعل!
بعد دقيقة، كان باسم قد تمالك نفسه، فأكملت هدى شرح خطتها: سنذهب إلى دورة المياه تلك ونقذف الجرذان ببعض الحجارة، فما الذي سيحدث؟ بالطبع ستبدأ في الهرب، وبعضها سيقترب من الآليين الذين سيُسارعون للقبض عليها ووضعها بعيدًا. هنا ستكون فرصتنا للتسلل.
(فكرة عبقرية!) قالها طارق فتورّد وجه هدى خجلًا. لم يفسد هذه اللحظة الرقيقة سوى سؤال باسم: لكن ماذا لو فرّت الجرذان باتجاهنا؟
واتضح أن هدى فكّرت في ذلك الاحتمال فعلًا، فأجابت: سهلة، سنُحضر معنا (كتكوتة).
اتسعت عينا باسم من الدهشة فقال: لحظة! هل تقصدين قطتي؟ لا.. مستحيل! ماذا لو لاحقت الجرذان فقتلها الآليون؟

هزّ طارق رأسه مؤيدًا رأي باسم، لكن هدى كانت تملك إجابة لهذا السؤال أيضًا: لا تقلقا، فالآليون مبرمجون على ملاحقة الأشياء المتحركة ومحاولة إيقافها، لكنهم غيّر مزّودين بأية أسلحة.
فكّر باسم لبضعة لحظات، وشعر الجميع أنه على وشك الموافقة، وكم كانت صدمتهم كبيرة حين قال: يمكنهم دهسها!
فكّرت هدى قليلًا ثم قالت: هذا مستحيل أيضًا، ألا تذكر المظاهرة التي قامت ضد وزارة الذكاء الصنعي بعد حادثة (عنتر)؟
تسائل باسم: تقصدين الكلب الذي اعترض طريق أحد الآليين.. فاصطدم به ومات؟
أجابت هدى: صحيح، حينها زوّد قسم الشرطة الآلية رجالهم الآليين ببرنامج يمنع استمرار الشرطي في المطاردة في حال اقترابه من كائن حيّ يقل حجمه عن حجم الإنسان لمسافة ٢٠ سم، ويُرسل صورة للهدف إلى أقرب شرطي ليستمر فيها، كل ذلك في أقل من ثانية.
هذا يعني أن كتكوتة ستبقى بخير، وستؤدي حركة الحيوانات العشوائية إلى تشتت الآليين، وهكذا سنتمكن من التسلل إلى المبنى.
تنفس باسم الصعداء قائلًا: الآن يمكنني القول (قلبي اطمئن). إذًا، متى يمكننا البدء؟
زفر طارق معاتبًا: ما بالك مستعجل دائمًا يا باسم؟ الدخول مسألة سهلة. لكن التحدي الحقيقي يبدأ بعده، كيف سنجد الدواء؟ هل هناك حرّاس في الداخل؟ كيف سنخرج بعد أن نجده؟ وماذا سنفعل به؟
شعر باسم أن كرامته لا تسمح بالمزيد من الإهانات، فقال بصوتٍ متهدج: ألا تُلاحظ أنك تسخر منيّ طيلة الوقت؟ هل نسيت أنني من أخبرك عن الأمر برمته؟ أم تُراك تظن نفسك الذكي الوحيد هنا؟

حدثت هدى نفسها: "ها قد عُدنا لشجارات الأطفال!"

لم يعجب أسلوب باسم في الحديث صديقه، فردّ وهو يتحفز لشجار جديد: لا لست الذكي الوحيد هنا، أنا أحاول فقط أن أمنع حدوث كارثة بسبب تهورك. أنت تتعامل مع الحياة وكأنها لعبة فيديو. استيقظ يا صديقي! نحن على أرض الواقع، حيث ليس بحوزتنا أسلحة لمواجهة "الوحوش" وليس هناك "حياة إضافية". هل تتخيل ما قد يحدث إن أُلقي القبض علينا، أم تُراك تجاوزت خوفك من الأماكن الضيقة؟
حاول شرح باسم وجهة نظره لطارق: أعلم تمامًا أنها ليست لعبة فيديو، وإلا لذهبت وحدي (فأنا أمهر منك في ألعاب الفيديو)، إنما أريد فقط ألّا يضيع وقتنا في التخطيط فتفتر همّتنا.
وأما عن مسألة القبض علينا، فقد فكرت في الأمر جيدًا وتوصلت إلى نتيجة مهمة: حتى

لو أُلقي القبض علينا، فنحن -في نظر الحكومة- مجرد أطفال، سنتلقى بضعة نصائح والكثير من التوبيخ، لكنهم في النهاية سيُطلقون سراحنا.
(ربما معك حق. ولكن...) قطع طارق جملته بمجرد أن دخلت والدته الغرفة لتقول: والداكِ ينتظرانك على الباب يا صغيرتي.

وهكذا، ودعت هدى صديقيها بعد أن اتفقوا جميعًا على استكمال الحديث ضمن مكالمة جماعية.

"يبدو أنك مُعجب بالفتاة" باغت باسم صديقه بهذه الجملة.
التفت طارق نحو صديقه متفاجئًا: أنا؟ أبدًا.. ما الذي دفعك لقول هذا؟
استند باسم بمرفقه إلى الحائط وهو ينظر في عينيّ طارق مباشرةً، كانت نظراته تُشبه نظرات مُحقق عبقري يحلّ لغز القضية أمام مساعده: الأمر واضح، فلا داعي للإنكار، دفاعك عنها قبل قليل، وصوت دقات قلبك -المسموع- كلما نظرت إليها، ارتباكك كلما وجهت حديثها إليك. الحُب -يا صديقي- عطرٌ يُعرف صاحبه حتى وإن التزم الصمت.
لكن أخبرني: ما الذي يُعجبك فيها؟

وجّه طارق ضربة خفيفة إلى صدر باسم وهو يقول: أما وقد كشفتني، سأخبرك بكل شيء، ولكن بعد أن تنتهي مهمتنا.
فردّ باسم وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة خفيفة: كما تريد.

الأحد ـ ٩ مساءً

كانت الفوضى تعمّ جزء طارق من الغرفة، فالملابس في كل مكان، والكتب متناثرة على سريره لدرجة أنه كان يواجه صعوبة في إيجاد مكان لينام فيه كل ليلة!

اتفق أعضاء الفريق على الاجتماع بجانب (صيدلية الشفاء) التي يملكها والد هدى، تمنّوا لبعضهم ليلة سعيدة، وخلد كل منهم للنوم مع قلوبٍ تملؤها الحماسة.

الاثنين - ١٠ مساءً

قلّب طارق الجهاز بين يديه مستغربًا حجمه الصغير، ثم استدار نحو باسم ليسأله: حين قلت أنك تدّبرت أمر وسيلة انتقالنا إلى الوزارة، ظننتك تتحدث عن مركبة خفيّة أو نفاثات آلية! هل أنت واثق أن هذا المكعب الصغير سيوصلنا إلى هناك؟
لم يُجبه باسم، بل ضغط المكعب -الذي يُشبه مكعب روبيك- بكلتا يديه.. فاختفى خلال لحظة!
تلفّت طارق حوله في ذعر، وسأل هدى: أين ذهب ذاك الأحمق برأيك؟

"هل تبحث عنيّ؟" قفز طارق فزعًا حين سمع صوت باسم قادمًا من خلفه، والتفت ليُسدد -بشكلٍ غريزي- لكمة إلى صدر باسم.
صرخ باسم: آه.. آلمتني يا رجل!
ابتسم طارق معتذرًا: آسف، لم أكن أقصد، ما الذي حدث للتو؟
كانت هدى تضحك من غرابة الموقف، في حين بدأ باسم يشرح طريقة عمل مكعب "Far-Go" وهو يفرك صدره: ما حدث أمامك يا صديقي هو إثبات عملي على أن المكعب يعمل جيدًا. فكما رأيت، بمجرد الضغط عليه بقوة -بعض الشيء- ينتقل حامله إلى الوجهة التي يريدها (بعد إدخال إحداثياتها في الجهاز) بشرط ألّا تزيد المسافة عن ٥٠ مترًا. وهو ما سنستخدمه للوصول إلى الوزارة وفق المسار الذي حددته هدى البارحة.
أُعجب طارق بفكرة المكعب، ومع ذلك لم يستطع منع نفسه من السؤال: وهل هو مضمون؟
أجاب باسم وهو يقذف المكعب في الهواء ويتلقفه: فقط إن التزمنا خط سيرٍ واحدًا. لا تشغل تفكيرك بهذا الآن، سأشرح لك الأمر في الوقت المناسب.
هزّ طارق رأسه دلالة الفهم، وأمسك كل شخص بمكعبه، ثم ضغط عليه.

كان الشوارع فارغة تمامًا إلا من بعض المارة الذين يستغلون تعطّل مصابيح الإنارة ليستتروا عن أعين الشرطة الآلية. كان لهؤلاء هيئات تُشبه البشر تمامًا فيما عدا قدرتهم على الجري أسرع من أي عدّاء أولمبي، هذا يعني أن مجرد رؤيتهم خارج عن القانون تعني دخوله السجن لا محالة ورغم اعتراض الكثيرين على قسوة الشرطة الآلية، إلا أن تأكيد الحكومة على أن وجودهم حدّ من نسبة الجريمة في المدينة كان يُسكت تلك الأصوات الغاضبة.

وأمام هذه الحقيقة، كان على أصدقائنا توخيّ الحذر من الشرطة الآلية أكثر من كلاب الشارع التي زاد انتشارها أكثر من ذي قبل.

الاثنين - ١٠:٣٠ مساءً

كانت الرحلة أشبه بإحدى مراحل (سوبر ماريو) على المستوى الصعب، هكذا وصفها باسم وهو ينفض الغبار العالق على طرف بنطاله لينضمّ إلى صديقيه المختبئين خلف صخرة كبيرة على بُعد أمتار من دورة المياه المهجورة.

نظرت هدى حولها، ورغم أنها صاحبة الفكرة، لكن ذلك لم يمنعها من التأفف: المكان هنا مقزز للغاية.
قال طارق بلطف: تمالكي نفسك يا هدى، لن نُطيل المكوث وراء هذه الصخرة.
أكدّ باسم على قول هدى: بصراحة، معها حق. أشعر بالغثيان مذ وصلنا، لماذا لا ننتقل إلى مكانٍ آخر؟

فتح طارق خريطة المكان على جهازه اللوحي المُعدّل، كانت الشاشة بالكامل تومض باللون الأحمر، فيما عدا خط عامودي يصل بينهم وبين دورة المياه. أدار الشاشة نحو صديقيه، ليُجيب عن سؤالهما دون أن ينطق.

من بعيد، كانت الوزارة تتلألأ وسط الظلام بأضوائها الساطعة، ولم يكن ذلك التصرف مستغربًا في ظل مجانية الكهرباء،

- والآن، هل أنتما جاهزان؟
- نعم.. هيّا بنا.

سارت الخطة كما ينبغي بالفعل، فما إن وضع طارق "كتكوتة" على الأرض، حتى انطلقت نحو الجرذان، التي أطلقت صرخات قصيرة قبل أن تجري بالعشرات نحو الآليين. وكما هو متوقع انطلق الآليون في أعقاب الجرذان، كانت الفوضى التي أثارتها هذه المخلوقات الصغيرة مثيرة للسخرية حتى أن باسم انقلب على ظهره من الضحك.
تفقد طارق شاشة جهازه من جديد، وأكدّ اللون الأخضر الذي يُحيط بالمبنى خلو الطريق أمامهم. وهكذا استند أعضاء الفريق إلى الصخرة بظهورهم، ليُعلن طارق جاهزيتهم:
والآن، نحن جاهزون للدخول. باسم، هلّا أخبرتنا بما لدينا من معلومات عن المبنى من الداخل؟

هزّ باسم رأسه وهو يُخرج بعض الأوراق من حقيبته: بالطبع، المبنى مؤلف من ٣ طوابق فوق الأرض وطابقين تحتها. تتوزع المكاتب الإدارية في الطوابق الثلاث الأولى، ويبدو أنهم استعاضوا بأفراد أمن بشريين عن الشرطة الآلية في حمايتها. يوجد في كل طابق حارس وحيد.

كان طارق يعلم أن تعيين الوزارة حراسً بشريين مجرد شكليات، لذا سأل باسم عن نظام الحماية الحقيقي: هذا يعني أنهم يستخدمون العديد من كاميرات المراقبة، أليس كذلك؟

أجاب باسم: بالضبط، تضم كل غرفة كاميرا مراقبة متطورة مزودة بقارئ للمؤشرات الحيوية في أجساد الموظفين.

شعر طارق أنه وقع على سرّ خطير، حيث قال: إذًا، الوزارة حريصة على صحة موظفيها والمراجعين.

استغرب باسم ما توصّل إليه طارق، فسأله: ماذا تقصد؟

شرح طارق وجهة نظره قائلًا: أليس الهدف من الجهاز التقاط أعراض كورونا وحماية الموظفين من العدوى؟

ارتسمت معالم الجديّة على وجه باسم وهو يقول: كنت لأوافقك الرأي لولا أن عمر هذه الكاميرات من عمر المبنى ذاته، كما أنها لم تخضع لأي تحديث أو صيانة. الهدف الحقيقي يا طارق هو اكتشاف المرتشين من خلال تسارع دقات قلبهم أو تعرقّهم وغيرها من دلائل الخوف.

وكما هو متوقع، استخدم طارق المثل الشهير: (يدواي الناس وهو عليل). حسنًا، ماذا عن الطوابق السفلية؟

أجاب باسم باختصار: كل ما نعرفه عنها أن الطابق الأول تحت الأرضي يتضمن مصنعًا للشرطة الآلية.

وهنا شاركتهم هدى الحديث لأول مرة: غريب! يُفترض أن بناء هذه المصانع من اختصاص وزارة الذكاء الصنعي بالتنسيق مع وزارة الداخلية، فما علاقة وزارة الصحة بهذا؟

علم باسم أن أحدهما سيطرح هذا السؤال، لكنه لم يتوقع أن تكون هدى -التي تفوقهم ذكاءً- من يطرحه. لذا، نظر بعيدًا وهو يجيبها: وزارة الصحة مسؤولة عن خلق الجانب الإنساني داخل تلك الروبوتات يا هدى. على سبيل المثال، ماذا سيحدث لو اعتدى أحدهم على روبوت تابع للشرطة؟

كانت الإجابة بديهية، لذا رفع طارق حاجبيه مستغربًا وهو يقول: سيُلقى القبض عليه بالتأكيد!

أكمل باسم شرح فكرته: بالضبط، هنا الوضع مختلف، حيث يتحلى الآليون بالكثير من ... هل يمكننا استخدام كلمة (الصبر) هنا؟

وجد طارق إطلاق صفة (الصبر) على روبوتات مبرمجة أمرًا غريبًا، لذا سأل باسم: لكن لماذا؟
علم باسم أن صديقه سيكون صاحب هذا السؤال، ووجد في ذلك فرصة لاستعراض معلوماته: الأمر واضح يا طارق، يصل المئات من ذوي المرضى إلى الوزارة كل يوم، بعضهم يحمل طلبات وآخرون اعتراضات، وقد يحدث أن يغضب أحدهم لسببٍ ما فيُعبّر عن غضبه بشتيمة -أو حتى ركلة- للحارس الآلي. حينها سيعمل الأخير على احتواء الوضع لألّا يتحول الموقف إلى مذبحة!
زفر طارق بعد أن شعر أنهم ابتعدوا كثيرًا عن الموضوع الأهم: آهاا.. فهمت. حسنًا، ماذا عن الطابق الثاني تحت الأرض؟
بحث باسم في الأوراق بين يديه، ولما لم يجد شيئًا، قال: لا توجد أي معلومات عنه، وحدسي يقول أنه المكان الذي يُخفون فيه الدواء.
ابتعد طارق عن الصخرة وقد همّ بالسير نحو المبنى: إذًا لننطلق إلى هناك على بركة الله.
استوقفه باسم بحركة من يديه، وبدأ صوته في الارتفاع قليلًا: ثم تقولون (لما العجلة يا باسم؟!)، كيف سننطلق ونحن لا نعلم ما الذي ينتظرنا هناك؟ أخبرتك أننا لا نملك أي معلومات عن ذاك الطابق! هذا يعني أننا لا نعلم حجم ونوع الحراسة، ماذا لو دخلنا فوجدنا أنفسنا وجهًا لوجه مع جيش عن الشرطة الآلية؟ ماذا لو كان الطابق يحتوي مفاعلًا نوويًا يُدار آليًا مثلًا، سنموت خلالها بالإشعاع لا محالة!
أمسك طارق بكتفيّ باسم وطفق يهزّه قائلًا: ماذا تقترح إذًا؟ لن أتراجع بعدما وصلنا إلى هذه النقطة.
أبعد باسم يديّ صديقه برفق وهو يطمئنه: لن يتراجع أحد، أنا فقط أقول أن علينا التريث ريثما نكتشف محتويات الطابق.
ارتسمت ابتسامة سخرية على وجه طارق وقال: وكيف سنكتشفها يا ذكي؟
عدّل باسم نظارته على وجهه مجيبًا: أشكرك للإطراء اللطيف، رغم أنني أفضّل كلمة عبقري، احم.. لا بدّ أنهم يحتفظون بمخططات للمبنى في مكانٍ ما، وعلينا أن نجدها.
سأل طارق: إذًا، ما هي خطوتنا الأولى؟
جلس باسم القرفصاء وهو يجمع حاجياته التي سقطت منه: سندخل المبنى ونبحث عن المخططات، غالبًا ما سنجدها في قسم الإدارة الهندسية.

الاثنين - ١١ مساءً

دخل الفريق المبنى عبر مكعب Far-Go ليجدوا أنفسهم وسط أكبر بهو رأته أعينهم.
لم تتمكن هدى من إخفاء دهشتها: (يا للروعة!)، في حين عبّر طارق عن قلقه قائلًا: تقصدين.. يا للمصيبة! ما كل هذه الغرف؟
حاول باسم طمأنة صديقه: لا تقلق، سأستخدم مكعبي لأتفقد الغرف، هذا سيختصر الكثير من الوقت بلا شك. وفي حين صفق طارق فرحًا ليقول: أحسنت يا باسم. سألته هدى: هل أنت متأكد ألّا خطر عليك؟

وهنا، تملكت طارق مشاعر الغيرة، فهو لا يريد أن تهتم هدى بشأن أحدٍ سواه، لكنه وجد نفسه مهتمًا بإجابة السؤال ذاته. ولم تتأخر إجابة باسم: نظريًا، أثبت الجهاز دقة مذهلة في الانتقال من مكانٍ لآخر، لكن وفق مسارٍ واحد.
أمال طارق رأسه وقد شعر أن باسم يُكرر كلامه فحسب: أخبرتنا بهذا سابقًا، لكننا لم نفهم حينها.
أخرج باسم جهازه اللوحي وبدأ في شرح آلية عمل جهاز Far-Go: والآن حان وقت الشرح، لنفترض أنني أريد الانتقال من النقطة (أ) إلى النقطة (ب)، سيؤمن الجهاز انتقالي هذا بمنتهى السلاسة. لكن ذلك لا ينطبق تمامًا على العودة من النقطة (ب) إلى النقطة (أ) حيث تبلغ نسبة الخطأ في هذه الحالة ١٠%.

- واو! يمكننا التغاضي عن هذه النسبة، أليس كذلك؟
- لا أعلم.
- ألا يمكننا من النقطة (ب) تحديد النقطة (أ) كوجهة؟
- لا، فأقرب نقطة سيُعيدنا الجهاز إليها ستبعد ٥٠ مترًا عن وجهتنا.
- لكن النسبة مرتفعة يا باسم، ألا توجد طريقة أخرى؟
- بالطبع، يمكننا اتباع الطريقة التقليدية، بحيث نتفقد الغرف كلًا على حدا، لكننا سنحتاج إلى الكثير من الوقت. علاوة على ذلك، سنصادف الكثير من الغرف المغلقة، فهل نملك الوقت للبحث عن مفاتيحها؟ لا أظن ذلك! إذًا، ليس أمامنا سوى أن نضع مستقبلنا بين يديّ هذا الجهاز.

لاذت هدى بالصمت، في حين شجّع طارق صديقه على المضي قدمًا: "توكل على الله يا باسم ودعنا نبدأ، المهم أن نبقى على تواصل في كل خطوة". ضغط باسم المكعب بكلتا يديه، ليختفي خلال لحظة.

التفت طارق إلى هدى ليقررا ما عليهما فعله: لا أجد قلق (باسم) من وجود مفاعل نووي في الطابق الثاني تحت الأرضي منطقيًا! بحسب معلوماتي، دائمًا ما تكون المفاعلات النووية مبنية في الصحراء، بعيدًا عن الأحياء السكنية، لأن تسريبًا بسيطًا من أحدها يُعد كارثة، هل سمعتِ عن انفجار مفاعل تشرنوبل؟
أجابت هدى بصوتٍ مرتجف: ومَن لم يسمع به؟ لقد أُضطرت الحكومة الأوكرانية آنذاك لإجلاء الآلاف من المناطق المُحيطة به. وقُدّرت الوفيّات الناجمة عنه بتسعين ألف شخص.
استند طارق إلى الجدار القريب وقال: معلوماتك صحيحة. إذًا هل توافقيني الرأي أن وجود مفاعل نووي هنا ضربٌ من المستحيل؟
ردّت هدى: بالتأكيد.
انحنى طارق ليعقد رباط حذائه ثم نهض ليستكمل الحديث: إذًا، ما رأيك لو نذهب في جولة نتفقد من خلالها ذاك الطابق؟
حضنت هدى حقيبتها قائلةً: موافقة.

لكن قبل أن ينطلقا، جاء صوت باسم من جهاز الاتصال: من النسر المقنّع إلى رئيس العصابة، حوّل.
ردّ طارق بعصبية: لا وقت لمزاحك الثقيل هذا، أخبرني عن الوضع لديك؟
ابتلع باسم الإهانة، ثم قال: أنا الآن داخل غرفة فارغة إلا من بعض عبوات الأدوية الفارغة، سأكون أمامك خلال لحظة.
وبالفعل، ما إن أنهى باسم جملته، حتى كان يقف قبالة الفريق من جديد. احتضنه طارق قائلًا: هذا الجهاز رائع بالفعل.
شعرت هدى بقلق لم تفهم مصدره، ومع ذلك هنأت باسم بعودته: الحمد لله على السلامة.
- سلّمك الله من كل مكروه، والآن اسمحوا ليّ، فأمامي العديد من الغرف.

وكما في المرة الأولى، اختفى باسم خلال طرفة عين، لكنه سرعان ما أطلق صرخة صغيرة.
صرخت هدى: ماذا حدث يا باسم؟ هل أنت على ما يُرام؟
استغرّق وصول الردّ بضعة لحظات -مرّت على طارق وهدى كسنوات- قبل أن يأتيهم صوت باسم ضعيفًا: لا تقلقا.. أنا بخير، لكن الغرفة التي دخلتها كانت مُقفلة، وفي مثل هذه الحالة يُصدر المكعب شحنة كهربائية بسيطة أشبه بالوميض في رأسي.
- لكنك لم تُخبرنا بهذا حين تحدثت عن الجهاز!
- لم أُرد أن تقلقا عليّ، هي مجرد ومضة بسيطة وغير مؤذية.
همس طارق لهدى: لماذا انتِ قلقة عليه إلى هذا الحدّ؟

أجابته بعد أن أطفأت جهاز التواصل: وما الذي يزعجك في الأمر؟ أليس باسم صديقنا أيضًا؟ أرجوك لا تسمح لخلافاتكما الطفولية أن تُفسد جمال الصداقة التي تجمعكما.

"لماذا لا تفهمين ما أرمي إليه؟" حدّث طارق نفسه بهذا وهو يهزّ رأسه متفهمًا قول هدى التي أعادت تشغيل جهاز التواصل.

- ... فما رأيكما؟
- آسفة، لكن هلّا كررت ما قلته؟

وصل صوت باسم مشوشًا: كنت أقول أنني سأستمر بالبحث عن الدواء، وحين أجده سأعود إلى منزلنا لأخفيه في مكانٍ آمن، وبعدها أعود لاصطحابكم. هذا أسهل من محاولة هروبنا بصحبة صندوق زجاجي، فما رأيكما؟
أشاد طارق بالفكرة، لكن هدى لاذت بالصمت رغم أن شعورها بالقلق يزداد حدّة.
حاولت هدى دفع قلقها بعيدًا من خلال الترنمّ بأغنية أحد برامج الأطفال:

وتهدينا الحياة أضواءً في آخر النفق، تدعونا كي ننسى ألمًا عشنااااه.
نستسلم لكن لا ما دمنا أحيانًا نُرزق، ما دام الأمل طريقًا فسنحيااااه.

تنقّل باسم بين غرفة وأخرى، لكن مع وصوله إلى الأخيرة -والتي كانت فارغة كسابقاتها- تسلل اليأس إلى قلبه، فقرر العودة إلى أصدقائه. لذا اتصل بهم عبر جهاز الاتصال وطلب منهم أن يعودوا أدراجهم وينتظروه.

- هل جاء باسم ليُعطلنا أن ليُساعدنا؟
- اهدئ، لا داعي لكل هذا الغضب. يقول أنه لم يجد شيئًا في الطابق بأسره، فما الضير لو انطلقنا ثلاثتنا من نقطة بحث جديدة؟

"ها هي تدافع عنه من جديد!"

--

الثلاثاء - ١ فجرًا

نظر باسم حوله، وعوضًا عن رؤية أصدقاءه، وجد نفسه محاطًا بعشرات الأعين الغاضبة. لقد نقله المكعّب إلى غرفة الحرّاس، وقبل أن تمتدّ يد أضخمهم لتمسك ياقة قميصه، ألقى باسم جهاز الاتصال نحو الحائط راجيًا الله أن يتحطم!
استجاب الله رجاءه، وبهذا انقطع الاتصال بين باسم وبقية الفريق.

- يبدو أن مكروهًا قد أصابه.
- لا أظن ذلك، وإلا لسمعنا صراخه أو نداء أستغاثة. أعتقد أنه في مكانٍ ما يتعذر فيه عمل الجهاز، لكنني أخشى الأسوء.
- ماذا تقصد؟
- أن يكون الحراس أمسكوه.
- إذًا، ما العمل الآن؟ هل ننتظره؟

نظر طارق إلى ساعته، كانت تشير إلى الرابعة، فعبّر عن قلقه: لا يمكننا أن ننتظره بل لا بدّ أن ننطلق نحن للبحث عنه، تبقت أقل من ٦ ساعات على موعد انطلاق الشحنة، يجب أن نحصل على الدواء قبل فوات الأوان وإلا انتهى كل شيء، وهكذا انطلقا للبحث عن باسم.

أثناء جريهم، توقفت هدى لتسأل طارق: ألا يكفي أن نجد المستندات التي تُدين الوزير؟ فكّر في الأمر، ما الذي سنستفيده من إخفاء عينة الدواء في حال كانوا يحتفظون بالتركيبة في مكانٍ ما؟ كل ما نفعله حينها هو تأخير وقوع الكارثة لا تفاديها بالكامل.

توقف طارق فجأة والتفت إلى هدى: يبدو كلامك منطقيًا، إذًا، ربما يمكننا تأجيل البحث عن باسم ريثما نجد المستندات. على العموم، أظنهم لن يجرؤوا على إيذائه، أليس كذلك؟ ارتسمت على شفتيّ هدى ابتسامة طفيفة وقالت: بالتأكيد، فهو مجرد صبي صغير.

أعجبت العبارة الأخيرة طارق جدًا، وشعر أن خلفها اعترافًا بأنه رجل. "بل ربما كنت رجل أحلامها حتى" حدّث نفسه بذلك وهو يركض بجوار هدى بحثًا عن الإثبات لتورط الوزير ولرجولته على حدٍ سواء.

خلف حافة الجدار، وقف طارق وهدى يتأملان الحارس الوحيد الذي يقف قبالة باب يحمل لافتة تقول (الإدارة الهندسية).

- يبدو أن باسم لم يصل هذه الغرفة أصلًا.
- كيف عرفت.
- لأنه لو دخل لعززوا الحراسة حولها، لكن حراسة الغرفة مقتصرة على قفلٍ إلكروني ومجرد حارس ليلي.
- هذا يعني أن باسم في خطرٍ فعلًا.
- ربما.. حسنًا.. لا يمكن أن نجزم أنه في خطر.. في الواقع، لا خطر عليه بما أنه مجرد فتى صغير، أليس هذا ما قلتيه قبل قليل؟
- بلى.
- سنتدبر أمر باسم فيما بعد، أما الآن فعلينا الدخول إلى الغرفة، لكن كيف وهذا الوحش يقف هنا؟
- لا تقلق، سأتدبر أمره.
- ما الذي تنتوين فعله؟
- لم تُجبه هدى، بل اكتفت بالسير نحو الحارس بخطى مترددة.

"المجنونة" همس طارق لنفسه بهذا، وهو يضع سماعات الأذن المتصلة بجهاز التواصل.

--

استيقظ باسم ليجد نفسه في غرفة صغيرة دون نوافذ، ومحاطًا بعشرات الأرفف.

"كما يقول المثل (رب رمية من غير رامٍ)، لا بدّ أن الحمقى وضعوني حيث أريد وهم لا يعلمون."

لحسن الحظ، لم يواجه باسم صعوبة في التحرر من قيوده الرفيعة.

- الغرفة مراقبة بالكاميرات، لذا لا بدّ أن تكون حركاتي مدروسة.

هيّا يا باسم.. تذكر، ما الذي يميّز الدواء؟ أولًا، هو سائل لونه أحمر، أقرب للون الدم.. جميع الأدوية على الرف هناك تنطبق عليها هذه الصفة. أحتاج إلى معلومة ثانية.. ممم.. لا بدّ أن يكون محفوظًا ضمن صندوق زجاجي مقاوم للصدمات لألّا ينكسر فتحدث الكارثة.

بحث باسم بعينيه عن صناديق زجاجية مقاومة للصدمات فوجد ٣ منها.

- يمكنني أخذها كلها، لكن السؤال: كيف سأهرب من هذا المكان؟

شاهد باسم في الأفلام الأجنبية أن مثل هذه الأماكن مزودة بمولدات احتياطية للطاقة في حال انقطاع الكهرباء أو حدوث تماس كهربائي، وغالبًا ما يستغرق إعادة تشغيلها ١٠ ثوانٍ، وهو ما يضعه أمام خيارين:
إما أن يحاول الهرب مستغلًا توقف الكاميرات خلال تلك الثواني، أو يحاول تعطيلها بإحداث تماس كهربائي.

قدّر باسم المسافة التي تفصله عن صناديق الأدوية والمسافة التي تفصلها -بدورها- عن باب الخروج، وأدرك أن الثواني العشر لن تكون كافية للهرب. فقرر تنفيذ الخيار الثاني. وهكذا قرر العبث بمقبس الكهرباء على يمينه مستعينًا بسلكٍ معدني معزول. لكن التيار الكهربائي لم ينقطع! عوضًا عن ذلك باتت جميع الكاميرات -التي كانت تسمح الغرفة قبل قليل- مسلطةً نحوه، والمصيبة أن ظهرت رشاشات صغيرة على جانب كلٍ منها.

- تبًا، لقد وضعت نفسي في مأزقٍ كبير.

--
ما إن سمع الحارس صوت خطوات قادمة، حتى انتفض واقفًا موجهًا سلاحه نحو مصدر الصوت.
وكم كانت صدمته كبيرة حين أدرك هوية القادم الذي لم يكن سوى هدى.

- هل أنتِ مجنونة؟ كدت أطلق النار عليكِ، ثم لماذا لا زلتِ هنا في هذا الوقت المتأخر؟

تظاهرت هدى بالبلاهة: أنتظر صديقتي، قالت بأنها ستزور والدها في مكتبه ولم تعد حتى الآن، هل رأيتها تمرّ من هنا؟

ابتسم الحارس وقرر أن يسخر من هذه الفتاة البلهاء: وما اسم صديقتك؟

بحثت هدى في ذاكرتها عن أكثر أسماء الفتيات انتشارًا في المدينة حتى وجدته: ريما.

- تقصدين ابنة رئيس قسم الإدارة الهندسية (المهندس عبدالله داوود)؟

همس طارق لنفسه: "أحسنتِ يا هدى"

- نعم صحيح، قالت بأن والدها يدير هندسة وزارة الصحة.

ضحك الحارس بشدّة على مفردات هدى الساذجة: يا لسوء حظك! فقد غادرت لتوّها بصحبة والدها.

دعكت هدى عينيها كما لو كانت موشكة على البكاء: لماذا لم تُخبرني أنها سترحل؟

- لا عليكِ، سأتصل بالأستاذ عبدالله وأخبره أنكِ هنا بانتظار ابنته.

أخرجت هدى منديلًا من حقيبتها، وكفكفت دموعها (الوهمية) بها، ثم اقتربت من الباب وهي تشير إلى القفل الإلكتروني: ما هذا؟

شعر الحارس أنه يقف أمام طفلة في الخامسة لا فتاة في الحادية عشرة من عمرها، فأشفق عليها وقرر ألّا يتوانى عن إشباع فضول تلك الفتاة: هذا قفل إلكتروني، ومهمته حماية الغرفة من السرقة.

- وما هذه الأرقام؟ هل يتضمن هاتفًا بداخله؟

أفلتت ضحكة صغيرة من طارق، ومن حُسن حظه أن الحارس لم يسمعها.

- لا، إنما تُستخدم هذه الأرقام في إدخال الرمز السريّ.
- وهل تعرف الرمز؟
- نعم، هل تريدين معرفته؟

تسارعت دقّات قلب طارق وهو يرى خطة هدى تنجح، وسرعان ما أخرج ورقة وقلم لتسجيل الرمز.

- نعم أرجوك، أرغب بتجربته لأتفاخر أمام صديقاتي -وخاصةً ريما- بأنني ذكية.

"للأسف، لستِ كذلك يا صغيرتي" حدّث الحارس نفسه بهذا ثم قال: ما رأيكِ لو نلعب لعبة الأحاجي؟ سأمنحكِ تلميحاتين عن الرمز، إن عرفتيهما كان اكتشاف الرمز سهلًا، ها.. ما رأيك؟

- موافقة.

فكّر الحارس قليلًا ثم قال: الرقم الأول هو نفسه الأخير.

- خمسة
- انتظري قليلًا، ربما يساعدك التلميح الثاني: اختار الأستاذ عبدالله الرمز ليُطابق الرقم كاملًا سنة ميلاد ابنته وتاريخ انطلاق فعاليات كأس العالم.

كان الحارس متأكدًا أن الفتاة أمامه -رغم بلاهتها- تعرف سنة ميلادها وميلاد صديقتها، وأنها ستنطق الرقم الصحيح بلا أدنى تردد. لكن ارتباك هدى أمام سؤال سهل كهذا استثار (الحس البوليسي) داخله، فما كان منه إلا أن سحب مسدسه لتنطلق رصاصة إلى جسد هدى.

وقف طارق كالشبح من هول الكارثة التي حصلت للتو، لكن سرعان ما تنفس الصعداء حين سمع صوت أنفاسها الهادئ عبر جهاز الاتصال "إذًا، هي لا تزال حيّة، ربما كانت رصاصة مُخدّرة فحسب"، حمل الحارس هدى على كتفه، وسار بها إلى المصعد.

أراد طارق اللحاق بهما وإنقاذ حبيبته، لكنه تذكر أن بحوزة ذاك "الوحش" سلاح التخدير، هذا يعني أن المواجهة لن تكون متكافئة. ثم تذكر أن رمز الدخول للغرفة بات بحوزته، وأنها فرصته الوحيدة للحصول على مخططات الطابق المجهول (بما أن الغرفة أصبحت بلا حراسة).

وبعد تردد قصير، اقترب من الباب وهو يحاول تذكر (تلميحات) الحارس "قال أن الرقم الأول مطابق للأخير، لكن ماذا عن الرقمين الآخرين؟ يمكن أن يكونا متشابهين أو مختلفين أو ربما تكون الأرقام الأربعة متطابقة أصلًا". ورغم جديّة الموقف، لكن الاحتمال الأخير أثار نوبة ضحك داخل طارق: "سيكون ذلك أغبى رمز في العالم. على كل حال، لا ضير من المحاولة، من يعلم؟ ربما كان السيد عبدالله يؤمن بمقولة: أفضل مكان لاختبار لصّ هو آخر مكان يتوقعه الشرطي.. سطح قسم الشرطة ذاته!

وضع طارق اصبعه على الزرّ الذي يحمل رقم واحد (كبداية)، لكنه توقف حين انتبه -بالصدفة- إلى اسم الشركة المصنعة للقفل.

- Holy safe، يا إلهي!

لم يكن طارق خبيرًا في العلامات التجارية، لكن إعلانات "Holy safe" رسّخت اسم الشركة في عقله، وبالتحديد ميزة منتجاتها الغريبة والتي لا تسمح للشخص بارتكاب أكثر من خطأ واحد عند إدخاله الرمز وإلا نقلته إلى الفضاء الخارجي في غمضة عين.
فكّر طارق في التخلي عن الفكرة برمتها، وقرر أن يبحث عن الحارس ليسلّم نفسه، "وليحدث ما يحدث".
لكنه تذكر أن أرواح الملايين أصبحت أمانة في عنقه منذ اللحظة التي علم فيها بمصير الدواء. لذا، لم يكن أمامه سوى الاستمرار.

- ربما كان الحارس محقًا حين قال أن حل اللغز يكمن في التلميح الثاني.
ذكر الحارس أن أرقام الرمز الأربعة تمثل سنة ميلاد الفتاة التي ادعت هدى صداقتها، هذا يعني أن الرمز هو ٢٠٠٦، وبالفعل أُقيمت دورة لكأس العالم في ذاك العام. لكن لحظة، ألا يُفترض أن يكون الرقمين الأول والأخير هما ذاتهما؟
إذًا فالرمز هو ٦٠٠٦.

امتلئت نفس طارق بمشاعر الفخر لتوصله إلى حل الأحجية بهذه السهولة.
أدخل طارق الرمز واثقًا، لكنه صُعق حين وجد القفل يُصدر صفارة قصيرة وعبارة (كلمة السرّ خاطئة.. حاول مرة أخرى).

- يا له من كاذب، هل كان ذاك الحارس يحاول خداع هدى؟

--
استند باسم إلى الجدار خلفه وقرر أن ينتظر أصدقائه لينقذوه من ورطته، لكن برودة الجدار التي سرت في ظهره ومشاعر الخوف التي غمرت جسده تحالفتا، لتكون النتيجة: رغبة قاهرة في زيارة دورة المياه.

- هذا ما كان ينقصني!

قرر أن يتشاغل عن مصيبتيه بتصفح الانترنيت، وضع كلمة "وزارة الصحة" في محرك البحث وهو يتوقع أن يجد خبرًا عن إيجاد دواء للجائحة. عوضًا عن ذلك، كانت عناوين الصحف الإلكترونية الكبرى تتحدث عن اختطاف ابنة وزير الصحة.

--

"كنت أعلم منذ البداية أنك محض مدعية" كان الحارس يخاطب هدى بهذه الكلمات وهو يضع الأصفاد في يديها وكاحليها، "مشكلتكم أيها المرهقون غروركم الزائد، تظنون أن لا أحد يفوقكم ذكاءً، وهذه قمة الغباء بصراحة"
كانت دموع هدى تنهمر غزيرة وهي ترى خطة فريقها تنهار فجأة، لكن الحارس لم يكترث لها، بل خرج ليتركها في الغرفة.
تأملت هدى المكان حولها، والذي كان يعجّ بصناديق الأدوية المحمية. والمصيبة، جميع السوائل داخلها حمراء اللون!

حاولت هدى -أكثر من مرة- أن تتخلص من قيودها، لكنها كانت من النوع الذي يُرسل شحنة كهربائية صغيرة عند تباعد الأصفاد أكثر من ٥ سنتمترات. لذا سرعان ما استسلمت على أمل أن ينقذها أحد أعضاء الفريق، وبالأخص.. طارق.
وفجأة، أطل جرذ صغير برأسه من إحدى زوايا الغرفة المُعتمة، أرادت هدى الصراخ طلبًا للنجدة، لكن صوتها خذلها.
كان الجرذ يقترب منها بهدوء، ومع كل خطوة كانت هدى تعاني مزيجًا من الغثيان والخوف داخلها، وبحركة لا إرادية دفعت رف الأدوية القريب منها بقدمها، فسقطت إحدى الزجاجات فوق الجرذ، مسببةً موته.
لم تعلم هدى حينها ما إن كان سقوط الزجاجة أم انسكاب السائل منها فوق الجرذ هو ما تسبب بموته، في الواقع لم تعلم شيئًا.. فقد أُغمي عليها!

--
وقف طارق يحملق في الأرقام أمامه، كان يعلم أنه لا يملك سوى محاولة يتيمة لفتح القفل.

"لست مستعدًا للموت" تكررت هذه الجملة في عقله -كما لو كانت صادرة عن أسطوانة مشروخة- وهو يذرع الممر جيئةً وذهابًا إلى أن توقف أمام مرآة ضخمة تغطي أحد الجدران، لطالما فُتن طارق بالمرايا فهو يؤمن بأنها لا تكذب "على عكس ذاك الحارس" حدّث نفسه وهو يتحسس المرآة عندما لاحظ أمرًا مهمًا، حين رفع يده اليمنى ليتحسس المرآة، أظهر الانعكاس يده اليسرى تفعل ذلك.
نظر مجددًا إلى الورقة التي بين يديه، واضاءت في عقله فكرة: ماذا لو كان كل ما عليّ فعله هو إمساكها بالمقلوب؟

"حديث الحارس ينطبق على هذا الرقم أيضًا، وربما لم يكن يكذب، وإنما هو لم يتبيّن عمر هدى جيدًا فظنّها -نظرًا لقُصر قامتها- في الصف الأول الإعدادي (أو من مواليد ٢٠٠٩ إن أردنا الدقة)، أما مسألة كأس العالم فيبدو أنه مهتم بالرياضة زيادةً عن اللزوم، فكأس العالم الذي أُقيم في ذاك العام كان للناشئين!"

ما إن أدخل طارق الرمز الجديد (٩٠٠٩) حتى أطلق الباب تكّة بسيطة وأظهرت الشاشة عبارة باللون الأخضر: (تمّ إدخال الرمز الصحيح، أهلًا بك أ. عبدالله)

دخل طارق الغرفة، والتي تبيّن أنها أحد المكاتب المهملة. وكاد اليأس يسيطر عليه فيدفعوه للخروج من الغرفة لولا أن انتبه إلى أن غرفة محمية بهذا الشكل لا بدّ أنهم يخفون شيئًا خطيرًا داخلها.
كانت الغرفة تضمّ طاولة خشبية مكسورة يعلوها الغبار والكثير من أنابيب الاختبار القديمة، إضافة إلى كرسي من الجلد الفاخر.
لاحظ طارق أن الكرسي نظيف "لا بدّ أنه نُقل حديثًا" اقترب طارق من الكرسي ودفعه فضوله لتجربته، وما إن جلس عليه حتى خرجت من الحائط شاشة عملاقة.

- يا لدهائهم! يبدو أن اجتماعاتهم السريّة كانت تتمّ في هذا المكان.

نهض طارق عن الكرسي، فعاد الحائط كما كان. "يجب أن اكتشف طريقة تفعيل الشاشة. أين أنت يا باسم؟"

--
كانت دهشة باسم تزداد مع كل كلمة يقرأها.
"إذًا، فالوزير لن يسلّم الدواء لجابر أبو سيف بمحض إرادته، بل هو مُرغم على ذلك لإنقاذ ابنته."

وعلى حين غرّة، انقطع التيار الكهربائي، ما إن استوعب باسم أن الكاميرات (المسلحة) قد توقفت نتيجة انقطاع التيار الكهربائي، حتى نهض مسرعًا ليجلب صناديق الأدوية ويعود إلى مكانه.

"والآن، عليّ الخروج من هذا المكان" مضت بضعة دقائق من الظلام قبل أن يُقرر باسم تحسس طريقه نحو الباب محاولًا فتحه، كان يشك أن يتمكن من فعل ذلك، لكن -لدهشته- كان الباب مفتوحًا أصلًا.

حبس باسم أنفاسه "لا بدّ أن أحد الحراس جاء ليتأكد أنني لا زلت هنا" كان عنقه متحفزًا للقبضة القادمة لا محالة، لكنها لم تأتِ أصلًا!
وهكذا خرج من الغرفة بصحبة صناديقه، متجهًا نحو سلّم الطوارئ وهو يصرخ: لقد نجوت!!

لم تكن الصناديق ثقيلة، لكن باسم شعر -وسط كل ذاك الظلام- كما لو كان يحمل براميل متفجرات! "يا ليّ من غبي! كيف سأتواصل مع أصدقائي بعد أن حطمت جهاز الاتصال؟"
كانت خطواته بطيئة وحذرة مخافة أن يصطدم بشيء، وبدأت أنفاسه تضيق رغم اقترابه من مجرى للهواء، الذي سرعان ما أدرك أن وجوده يعني بابًا مفتوحًا. وفجأة! لمع ضوء شديد أمام عينيه، فسقطت الصناديق من يده.

- من هناك؟

استغرق الأمر بضع ثوانٍ قبل أن يتبين صاحب الصوت.

- طارق، أهذا أنت؟

ركض كلا الشابين نحو الآخر وتعانقا، لكن ما إن ابتعد أحدهما عن الآخر، حتى وجّه باسم لصديقه لكمة قوية في بطنه.

- آآآآه..
- تستحق لكمة أقوى والله، كيف تخليّت عنيّ أيها التافه؟
- ذكّرني أن أردّها لك حين ننتهي من كل هذا، لكن تأكد أنني لم أتخلى عنك صدقني.

حكى طارق لباسم كيف انطلق مع هدى للبحث عنه، وعن اقتراح هدى بالسعي خلف المستندات التي تُدين الوزير.

- إن كان الأمر كذلك فقد سامحتك، لكن أين هدى؟
-
- أعدك أننا سنجدها، فلا تقلق!

- أفهم من كلامك أن الوزير ضحية للشرير جابر أبو سيف؟
- نعم، يبدو أن الأوغاد اختطفوا ابنته للضغط عليه، وجميع الأجهزة الأمنية تعمل الآن على إيجادها.
- وطبعًا، لا يمكن للوزير أن يدلّهم على هوية الخاطفين وإلا ألحقوا الأذى بطفلته.

- بالضبط.

وصل باسم وطارق إلى غرفة مكتب الإدارة الهندسية، وما إن فتح الأخير الباب حتى تجمّد في مكانه، كانت هدى جالسة على الكرسي تبكي بحرقة.
ركض طارق نحوها، وكم كان يودّ احتضانها لتهدئ.. لكن خجله منه، لذا اكتفى بالوقوف على مقربةٍ منها وهو يفرك كفيّه ببعضهما.

- ماذا حدث يا هدى؟
- الجرذ.. الدواء.. مات.. أريد ماما (ثم عادت للبكاء)

في هذه الأثناء، كان باسم يعبث بالشاشة الجدارية، غضب طارق لرؤية باسم لامباليًا هكذا، فجرى نحوه مسددًا له صفعة.

- أنت عديم الإحساس يا رجل!

تعارك الصديقان كما لو كانا قطين، في حين هرعت هدى لإيقافهما بعد أن تمالكت نفسها: لا أصدق أن رجلين مثلكما يتعاركان كالأطفال!

- هو البادئ.
- ألم ترِ كيف كان يعبث بالشاشة؟
- توقفا عن هذا الهراء الآن!

كانت صدمتهما كبيرة، فلم يسبق أن سمع أحدهما فتاة تتفوه بهذه الكلمة.

- آسفة.

قالا بصوتٍ واحد: بل نحن من علينا الاعتذار.

ساد الصمت للحظات قبل أن يقول طارق مشيرًا إلى الشاشة: انظرا.
كانت الشاشة تُظهر كلامًا غير مفهوم.

- ما هذا؟

نبذل جهدنا لوضع الفيروس عند حده. جائحة كورونا خطر حقيقي. اجلسوا في بيوتكم. الجميع بخير. بعدها سنجتمع جميعًا للاحتفال عند الشاطئ. هل تصدقون أن المعركة قد بدأت للتو؟

- هل يمكن لأحدكما أن يفسّر معنى هذا الكلام؟
- ربما تكون بنود تصريح وزاري.
- لا أظن ذلك يا هدى، وإلا لوضعوها على شكل قائمة.
- إذًا، دعونا نقرأها مرة أخرى.

نبذل جهدنا لوضع الفيروس عند حده. جائحة كورونا خطر حقيقي. اجلسوا في بيوتكم. الجميع بخير. بعدها سنجتمع جميعًا للاحتفال عند الشاطئ. هل تصدقون أن المعركة قد بدأت للتو؟

- حتى لو قراتها ألف مرة، فلم أفهم شيئًا.

اقترب باسم من الشاشة، وضغط على الجُمل وهو يحركها لتأخذ شكل قائمة

٥)) نبذل جهدنا لوضع الفيروس عند حده.
٣)) جائحة كورونا خطر حقيقي.
٢)) اجلسوا في بيوتكم.
١)) الجميع بخير.
٦)) بعدها سنجتمع جميعًا للاحتفال عند الشاطئ.
٤)) هل تصدقون أن المعركة قد بدأت للتو؟

ثم قال: دعونا نتفق أن لا علاقة لهذا بأي تصريح وزاري، فالجُمل غير مترابطة أصلًا حتى بعد ترتيبها على شكل قائمة، ثم من غير المنطقي أن يُحاط تصريح وزاري -جميع ما فيه بديهي- بهذا الكمّ من السريّة.

- معك حق، لكن ليست جميع الجُمل بديهية، ماذا عن هذه؟

كان طارق يُشير إلى الجملة الخامسة (بعدها سنجتمع جميعًا للاحتفال عند الشاطئ) ثم تابع كلامه: لماذا حُصر الاحتفال بالشاطئ؟ كلنا نعلم أن الشاطئ يقع في أقصى المدينة شرقًا، وهو لا يتسع لأكثر من ألف شخص، والرسالة تقول أننا سنلتقي جميعًا..

- ماذا قلت؟
- قلت أن الرسالة..

- أحسنت! كيف لم يخطر ليّ ذلك سابقًا، هذه رسالة بالفعل.
- سواء أكانت رسالة أو تصريحًا، لا زال الأمر مبهمًا.

وبينما كان الصديقان يتناقشان، وقفت هدى تتأمل القائمة.

٥)) نبذل جهدنا لوضع الفيروس عند حده.
٣)) جائحة كورونا خطر حقيقي.
٢)) اجلسوا في بيوتكم.
١)) الجميع بخير.
٦)) بعدها سنجتمع جميعًا للاحتفال عند الشاطئ.
٤)) هل تصدقون أن المعركة قد بدأت للتو؟

(الجميع في خطر المعركة عند الشاطئ) صفقّت هدى بفرح وهي تنطق الجملة.

- ماذا؟
- الرسالة التي نبحث عنها. هل لاحظتما أن القائمة غير مرتبة؟
- ماذا تقصدين؟
- سأشرح لكما، ما إن وضع باسم الجمل ضمن قائمة، حتى لاحظت أمرًا غريبًا، انظرا.. البند الأول يحمل الرقم (٥)، والثاني رقم (٣)، في حين تحمل البنود الثالثة التالية الأرقام (٢)، (١)، (٦) على التوالي. وأخيرًا يحمل البند الأخير رقم (٤).
- وبما أنني مهووسة بالترتيب، فقد أعدت وضع البنود وفق الترتيب الصحيح:

١)) الجميع بخير.
٢)) اجلسوا في بيوتكم.
٣)) جائحة كورونا خطر حقيقي.
٤)) هل تصدقون أن المعركة قد بدأت للتو؟
٥)) نبذل جهدنا لوضع الفيروس عند حده.
٦)) بعدها سنجتمع جميعًا للاحتفال عند الشاطئ.

نحن الآن أمام لعبة (الجاسوسات).
- أنا لا أعرف هذه اللعبة، ماذا عنك؟

- رغم خبرتي العظيمة بعالم البنات، لكن يؤسفني القول أنني لم أسمع بها من قبل!
- هذا لأنها لعبة خاصة بالفتيات، كنا نستخدمها في تمرير رسائل سرية داخل الفصل، سأطبقها أمامكم الآن.
ما هي أول كلمة في الجملة الأولى؟
- الجميع.
- أحسنت، وما هي الكلمة الثانية في الجملة الثانية؟
- في
- والثالثة في الجملة الثالثة؟
- خطر
- فهمت! لو طبقنا لعبتك على بقية الجمل، سنصل إلى.. لحظة.. "الجميع في خطر المعركة عند الشاطئ"، أنتِ عبقرية يا هدى!
- ومع ذلك، لا زلت عاجزًا عن الفهم.
- لا بدّ أن الوزير أراد إيصال هذه الرسالة.

- وهل نحن من سيقوم بهذه المهمة؟ أقصد لا شكّ أن رجال جابر مدججون بالسلاح، ونحن لا نملك سوى كتكوتة.. لحظة! أين هي بالمناسبة؟ لا! لقد نسيناها عند بوابة المبنى الرئيسي.

- لا تقلق، لا شك أنها عادت الآن إلى منزلكم، ألم تُخبرني أنها معتادة على اللهو خارج المنزل ثم العودة إليه في الساعة التاسعة؟
- بلى، رغم أنها تقوم بذلك كل يوم، لكنني نسيت.
- وهل أنت عجوز حتى تنسى؟

قطعت هدى الطريق عليهما قبل أن يُشعلا فتيل شجار آخر بقولها: المهم أنها في أمان الآن، وباسم معه حق، كيف سنواجه جيش جابر وحدنا؟

- لن نواجه أحد، سنتبع مبدأ (إنما الحرب خدعة)؟
- كيف؟
- باسم، قلت أن بحوزتك ٣ صناديق، صحيح؟
- نعم، وها هي..

وضع باسم الصناديق الثلاثة على الأرض، ليلتف الأبطال الثلاثة حولها.

- لا أظن أن الصناديق الثلاثة تحمل الدواء ذاته.

أمعنت هدى النظر في السوائل الموجودة داخل كل صندوق، ثم قالت: معك حق، فلون السائل داخل هذا الصندوق (سيكوياني) بينما السائل في الصندوقين الآخرين (توسكاني).

نظر الصديقين إلى بعضهما وقد ارتسمت على وجهيهما التعابير ذاتها: عدم الفهم.

ضحكت هدى (فرفرف قلب طارق وكاد يغرّد) ثم قالت: أنتما معذوران، فهذه الأشياء لا تفهمها سوى الفتيات. المهم، اختلاف اللونين يعني أن الصندوق ذا اللون المختلف هو الدواء الحقيقي.

نظر طارق إلى باسم نظرة تحمل معنى (هذه هي الفتاة التي رفضت أن نصطحبها معنا!) ثم أثنى على هدى قائلًا: ممتاز، إذًا إليكما الخطة. باسم، ستبقى هنا مع صندوق الدواء الحقيقي، وسأذهب برفقة هدى إلى ساحة المعركة عبر Far-Go. وعندما أُرسل لك إشارة، ستتصل بجهاز الشرطة المركزي وتخبرهم أننا مختطفان. خذ، ابقِ جهاز الاتصال الخاص بهدى معك.

- ماذا عن الصندوقين الآخرين؟
- سنأخذ أحدهما وندعيّ أنه الدواء الحقيقي. في حين تُعيد الآخر إلى مكانه ليأخذه السائق المكلّف بمهمة نقله إلى الشاطئ.
- وماذا لو كُشف أمركما؟
- لن يحدث هذا! إن عجزنا -أنا وأنت- عن التفرقة بين الصناديق الثلاث (رغم وجود إضاءة كافية)، فما بالك بجابر وعصابته وسط الظلام؟
- فعلًا!
- إذًا، دعونا نبدأ تنفيذ الخطة.
- على بركة الله.

--

في مكتبه الفخم، كان رجل الأعمال (جابر أبو سيف) ينقر بأصابعه على طاولة مكتبه بحركة متوتر، في حين جلس أمامه كلًا من وزير الصحة ونائبه يحيط بهما ثلة من رجال (أبو سيف) الأشداء.

- كان من المفترض أن تكون الشحنة أمامي الآن.
- معك حق، لكن لا بدّ أن طارئ قد حدث، ربما تكون شاحنتنا عالقة على أحد حواجز الشرطة، لا تنسى أن حظر التجوال لا يزال ساريًا.
- وأنت لا تنسى تفاصيل الصفقة التي عقدناها معًا، إن لم تصل الشحنة خلال ساعة، فلا أضمن نفسي.

لم ينتبه الوزير ما قاله، فقد كانت عيناه معلقة على الحارس الشخصي الذي انتهى لتوّه من تلقيم سلاحه.

- لما لا تحاول استخدام علاقاتك لتعلم أين الشحنة الآن؟
- بل لما لا أذهب فاستلم الشحنة بنفسي من مخازنكم؟

وهكذا انطلقت قافلة سيارات أبو سيف نحو مبنى وزارة الصحة في العاصمة.

على الطرف الآخر، كان طارق وهدى يُراقبان طاقم سفن أبو سيف وهم يعملون على تجهيزها بأسرع ما يمكنهم.

- ماذا تُراهم يفعلون؟
- أظن أنه قرر الهرب بالدواء إلى خارج البلاد.
- طارق، ماذا لو اكتشف السائق أن الدواء ليس موجودًا، ألن يعرّض هذا باسم للخطر؟
- يا إلهي! هذا صحيح، ما الذي يتوجب علينا فعله الآن؟

فكّرت هدى قليلًا ثم قالت: يُقال أن الهجوم أفضل وسيلة للدفاع، ما رأيك لو أجبرنا أبوسيف على القدوم إلى هنا؟

- كيف ونحن لا نملك رقم هاتفه أو أي وسيلة للتواصل معه؟
- دع الأمر ليّ.

غادرت هدى مخبئها واتجهت نحو طاقم السفينة، في البداية وجّه الجميع أسلحته نحوها، لكنهم سرعان ما خفضوها بإشارة من قائدهم.

وبعد لحظات، رفع القائد هاتفه نحو أذنه، وهزّ رأسه كما لو كان يتلقى تعليمات، ثم أعاد الهاتف إلى جيبه بعد أن أمر اثنين من الطاقم بتوجيه سلاحيهما نحو هدى.
شلّ الرعب حركة طارق وهو يشاهد هدى تتعرض للخطر -بسببه- للمرة الثانية، وكاد يخرج من مخبأه ويهجم على الرجلين لولا أنهما لم يُطلقا النار، ما يعني أن خطته تسير جيدًا.
وبالفعل -خلال لحظات- كان موقف سيارات يفوق الخمس سيارات يسدّ بوابة الميناء، نزل جابر أبو سيف من أحدها محاطًا بثلّة من رجاله.

- أين الدواء يا فتاة؟

"الدواء معي هنا يا سيد جابر" خرج طارق من مخبئه خلف الصخرة. وجّه الجميع أسلحته نحو طارق، فكان من الطبيعي أن يسقط صندوق الدواء من يده لهول الصدمة، لكنه سرعان ما التقطه.

- تبدو ليّ فتى ذكي، لذا أعتقد أنك مدرك تمامًا خطورة الموقف، وبالطبع أنت لا تريد أن يُصاب أحدهم بأذى، بالأخص صديقتك الجميلة هذه، صحيح؟
- لا علاقة للفتاة بالامر، الصندوق معي، فليكن حديثك معي أيضًا.
- ممتاز، يبدو أننا سنتفاهم جيدًا، والآن أخبرني: ماذا تريد لقاء هذا الصندوق؟

وفجأة، دخل طارق في نوبة سعال حادة، وانحنى على نفسه وهو يمسك صندوق الدواء بيد، في حين تبحث الأخرى عن منديل. وفي حين ابتعد الجميع عنه غريزيًا (بمن فيهم هدى)، اقترب جابر منه بخطوات سريعة قائلًا: خدعتك مكشوفة ولن تنطلي عليّ أيها الشقي، هات الصندوق ومُت بعدها إن شئت.

همّ طارق بإلقاء صندوق الدواء فعلًا، لكن إلى أين؟ إن انصاع لأمر أبو سيف فسينتهي كل شيء، ومن غير المنطقي أن يقذفه بعيدًا، فربما انكسر وانكشفت الخدعة.

كان أبو سيف يقترب ولمّا يحسم طارق أمره، إلى أن حدثت المعجزة: هبط طائر نورس كسهم، واختطف صندوق الدواء من يد طارق ثم طار به مبتعدًا.

استشاط أبو سيف غضبًا، فأخرج مسدسه وصوّبه نحو طارق: هل تعرف كيف بنيت ثروتي؟

وقف طارق عاجزًا عن الكلام وقد أيقن أن بطولاته ربما قادته إلى حتفه، في حين أصدر سلاح أبو سيف صوتًا يعرفه طارق جيدًا (تحرير مفتاح الأمان) وهذا يعني أن ما يفصله عن الموت ضغط زنادٍ فحسب.

لم يكن أبو سيف ينتظر جوابًا، لذا أجاب سؤاله بنفسه: تنتشر الشائعات حولي، فيقولون أنني أمتهن النصب، في حين أن الأمر أبسط من ذلك بكثير، كل ما في الأمر أنني لا أعترف بالأخطاء البشرية وإنما بالقصاص، إن شئت اسأل طبيب التوليد الذي تسبب في قتل طفلي، ادعو الله فقط أن تلتقي أرواحكما معًا.

أغمض طارق عينيه لألّا يرى الرصاصة قادمة نحوه، لذا فهو لم يرى صندوق الدواء الثقيل يُفلت من مخلب النورس ويسقط على رأس أبو سيف ليرديه قتيلًا!

"كان يريد قتل البشرية بالسمّ، فمات به. وأذاق الناس القصاص ظلمًا، فذاقه حقًا، فسبحان من يُمهل ولا يهمل".
وفي غمرة انشغال العصابة بزعيمها، هرع طارق إلى صندوق الدواء فضمّه بين ذراعيه ثم توارى عن الأنظار بصحبة هدى التي أدركت أن فارس أحلامها كان يقطن الشقة المقابلة.

الخميس - ١ ظهرًا

وقف الفريق يتأمل مكتب الوزير الفخم، قدّم لهم رجل آلي -بزيّ عسكري- العصير وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة ساحرة. مال باسم نحو طارق ليهمس في أذنه: أرى أنهم لطفاء فعلًا! ابتسم طارق دون أن يُعقّب.
أنهى الوزير مكالمته العاجلة، وأسند ذراعيه إلى المكتب أمامه ثم قال: أنا فخورٌ بكم جدًا يا صغاري، وعاتبٌ عليكم في ذات الوقت.
ارتسمت معالم الحيرة على وجوه الفريق، في حين استمرّ الوزير في حديثه: عاتبٌ عليكم لمخالفتكم التعليمات وخروجكم من منازلكم ضمن فترة الحظر، لكن هذا لا يُقلل إطلاقًا من سعادتي بوجود أبطال مثلكم من أبناء وطننا الغالي. لذا قررت تكريمكم بنفسي ضمن حفلة ضخمة بعد انتهاء الأزمة، أما الآن فأودّ سماع طلباتكم.

رفع طارق إصبعه كدليل على استئذان الوزير بأن يتشاور مع باقي الفريق، فأذن له.
قرّب الفريق رؤوسهم من بعضها ليتهامسوا، وكانت البداية من طارق الذي قال: "ماذا

تقترحون؟" ردّ باسم: "أرى ألّا نطلب شيء، فنحن في النهاية لم نقم بهذه المغامرة سوى لإنقاذ المدينة -وربما العالم- من خطر جابر أبو سيف". في حين ابتسمت هدى ابتسامتها الرقيقة قائلًا: "يكاد فضولي يقتلني لمعرفة تفاصيل حادثة اختطاف ابنته، ما رأيكم لو نسأله؟"، هزّ الفتيان رأسيهما دليل الموافقة.

انتهى الاجتماع السريّ بين أعضاء الفريق، وهنا أخبر طارق الوزير بطلبهم الأخير: "سيدي، هل يمكنك أن تُخبرنا كيف تمكّن الشرير جابر أبو سيف من اختطاف ابنة سمّوكم؟"

ارتسمت معالم الدهشة على وجه الوزير لهذا الطلب الغريب، ومع ذلك قرر أن يُشبع فضول هؤلاء الصغار: "هذه قصة طويلة، أطول مما تتخيلون. تبدأ مع عزلي لجابر أبو سيف من منصبه"
شهق المراهقون الثلاثة بنفَسٍ واحد: "هل كان جابر أبو سيف يعمل في الوزارة؟"
أجابهم الوزير: "نعم، بل كان يشغل أهمّ وظيفة، كان مستشاري الشخصي، كنت ائتمنه على أسرار الوزارة، لكنه خان الأمانة"
سأل طارق: "كيف؟"
نهض الوزير من وراء مكتبه، ليجلس قبالة الفريق ويبدأ في رواية قصة جابر أو سيف: "قبل نحو ١٠ سنوات، انتشر وباء إنفلونزا الخنازير في العالم، هل سمعتم عنه؟"
أجاب باسم: "بالطبع، الكل يقول أن كورونا هي النسخة الحديثة منها"
ضحك الوزير معقّبًا: "ذكرني، ما هو اسمك؟"
أجاب باسم: "باسم يا سيدي"
مال الوزير ومسح على رأس باسم قائلًا: "عزيزي باسم، نحن هنا نتحدث عن فيروسات، لا عن هاتف ذكي! على العموم، ما قلته صحيح تقريبًا، فإنفلونزا الخنازير كانت من أخطر الفيروسات على الإطلاق، وذلك لقدرتها الغريبة على تغيير تركيبتها. لكن ليس هذا جوهر حديثنا، وإنما ما فعله جابر أبو سيف، أليس كذلك؟"
هزّ أعضاء الفريق رؤوسهم مؤيدين. فأكمل الوزير: "في تلك الفترة، توصلنا إلى تركيبة مُثبتة للقضاء على الفيروس، لن أدخلكم في تفاصيل طبيّة حولها، المهم، كنا سعداء جدًا. وكان جابر أو سيف سعيدًا أيضًا، إنما لسببٍ مختلف، فقد قرر ذاك الشرير أن يبيع التركيبة لإحدى الدول المعادية"
صرخ طارق: "معقول؟ لم أتصور أنه شخص سيء إلى هذا الحدّ!"
ربت الوزير على كتف طارق، ثم أكمل حديثه: "اكتشفت جريمته تلك وواجهته بها، في البداية أنكر، لكنه بالطبع لم يتمكن من الإنكار أمام القاضي الذي حكم عليه بالسجن لمدة ١٠ سنوات"

قالت هدى: "ألهذا السبب كان حاقدًا عليك وقرر الانتقام؟"
أجابها الوزير: "بالضبط، ما إن خرج من السجن، حتى أرسل بضعة رجال لاختطاف ابنتي من أمام مدرستها"
سأل باسم: "وكيف تمكنوا من اختطافها في وضح النهار؟"
بدت مظاهر الحزن على وجه الوزير وهو يسترجع تلك اللحظات: "لأنهم عمدوا إلى خدعة خبيثة، حيث أقنعوها أنني أنا من أرسلهم، وهي -ببراءة الطفولة- صدّقتهم. أخذوها في سيارة مسروقة إلى قصر جابر أبو سيف واحتجزوها هناك، بعدها اتصل بيّ جابر يعرض عليّ صفقة: دواء الكورونا لقاء حرية ابنتي، وأنتم تعلمون حُب الآباء لأبنائهم، فرضخت لمطلبه"

شرد طارق في تفاصيل علاقته مع والده، واسترجع اللحظات الرائعة التي جمعتهما.
تواردت إلى ذاكرته مواقفه الأبوية، وكيف كان يحميه من غضب والدته حين يلوث ثيابه بالطين، والليالي التي سهرها وهو يستذكر له دروسه المتأخرة دون أن يُعاتبه أو يزيد من توتره.
شعر طارق أنه ظلم والده طيلة سنين، وأنه يُحبه كوالدته تمامًا (حتى وإن اختلفت مظاهر ذاك الحُب)، فقرر أن يستسمحه فور عودته إلى المنزل.

دخل سكرتير الوزير إلى المكتب -بعد أن طرق الباب بهدوء- وهو يحمل مظروفًا صغيرًا: "سيدي، هذا ما طلبته منيّ، هل تأمرني بشيء آخر؟" هزّ الوزير رأسه نافيًا، فخرج السكرتير.

فتح الوزير المظروف وأخرج منه ٣ بطاقات، ثم سلّمها إلى الفريق.
ما إن قرأ باسم ما كُتب على بطاقته، حتى بدأ يقفز في كل مكان: "يا إلهي! يمكنني من خلال هذه البطاقة أن أشتري الحاسوب الذي لطالما حلمت بامتلاكه، شكرًا معالي الوزير"
كانت هدى أقل الجميع فرحًا. لكنها لم تُظهر ذلك للوزير "

تمّت بفضل الله

للتواصل مع الكاتب:

Tarek.muslim@gmail.com

@T_almouslli